جماعة التبليغ

بعد قرن من الزمان

مشاهدات وحوارات داخلية

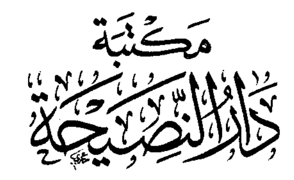
كتبها

صديق عيدروس أحمد

علق عليها

د/ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع

الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



السعودية - ٠٠٩٦٦٥٠٤٣٤٧٣٢٣



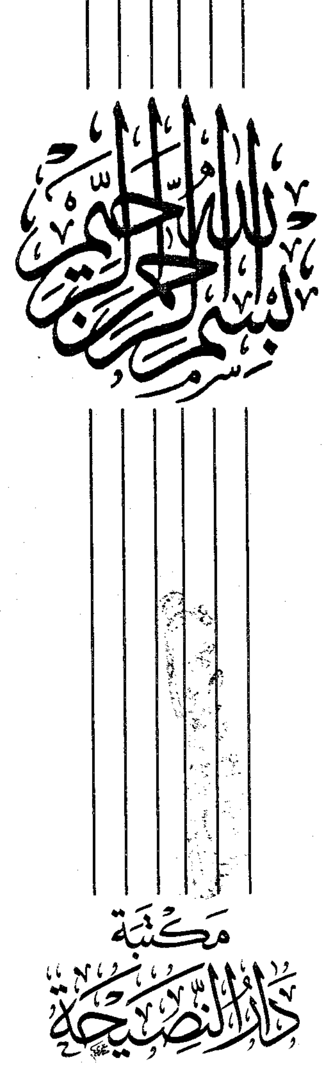
مصر - ٠٠٢/٠١٠١٨٠٦٣١٢


بسم الله الرحمن الرحيم

جماعة التبليغ

بعد قرن من الزمان

مشاهدات وحوارات داخلية



الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ١٧٠٥٨/ ٢٠٠٨م

المملكة العربية السعودية - المدينة النبوية - حي الفيصلية - أمام الباب الجنوبي للجامعة الإسلامية

جوال: ٠٥٠٤/٣٤٧٣٢٣ - ت وفاكس: ٨٤٧٠٧٠٨

البريد الإلكتروني: Daralnasihaa@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فقد قرأت ما كتبه الأخ صديق عيدروس بعنوان:

«جماعة التبليغ مشاهدات وحوارات داخلية»

فألفيتها رسالة مفيدة، وهي نصيحة مشفق غيور لإخوانه في طريق الدعوة، وخلاصة تجربة محب صاحب جماعة التبليغ مدة طويلة متحمسًا لها متفاعلًا مع منهجها وترتيبها محبًّا لأفرادها.

وتبين لي من خلال ما سطره أمورًا هامة:

منها: شدة نصح الأخ صديق لجماعة التبليغ خاصة، وإخوانه المسلمين عامة، ورغبته الصادقة -إن شاء الله تعالىٰ- في دلالتهم علىٰ الخير والنهج المستقيم في مسائل الدين والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ؛ فهو قد كتب هذه الرسالة نصحًا لإخوانه، و«**الدين النصيحة**».

ومنها: أن الله تعالىٰ وفق الأخ صديق إلىٰ محاولة تأصيل ما يشاهده

ويسمعه من خلال مصاحبته للجماعة هذه المدة الطويلة بالبحث عن أدلتها من كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ وكلام أهل العلم الراسخين، فلم يكن إمعة كالبهيمة التي تقاد بخطامها.

ومنها: أنه كان في بداية الأمر يحاول مع إخوانه في الجماعة تبرير الأخطاء التي يشاهدونها في الجماعة أو تورد عليهم من الآخرين، ويبادرون في التماس الأعذار والمسوغات لها، تارة باجتهادهم، وتارة بالرجوع إلىٰ المشايخ أو القدامىٰ في الجماعة، وغالبًا ما تنسب إلىٰ أفراد الجماعة.

ومع مرور الوقت تبين للأخ صديق مخالفات خطيرة، ونقص مؤثر في منهج الجماعة جعلته يعيد النظر ويراجع منهجه في تبرير أخطائها، ساعده علىٰ ذلك بعده عن مسلك التعصب للجماعة واستصحابه لقناعة راسخة هي: أن عمل سائر البشر سوىٰ المعصوم ﷺ عرضة للخطأ والنقص، وأن التواصي بالحق وظيفة هامة بين المؤمنين جعلها الله من أسباب فلاحهم.

وتمخض عن تلك المراجعة تساؤلات ثارت في نفسه من أهمها:

لماذا لانعتمد في جماعة التبليغ علىٰ كتب أئمة السلف وعلماء أهل السنة نتدارسها وندعو إليها، ونتخذها مرجعًا لأفراد الجماعة؟

لماذا الإصرار علىٰ تدارس كتب مليئة بالأحاديث الموضوعة والضعيفة وفيها انحرافات عقدية مثل كتاب «تبليغي نصاب»؟

لماذا نركز علىٰ تدارس الصفات الست ولا نعتني بسائر شعب الإيمان، ونتدارس مسائل الاعتقاد والفقه؟

لماذا نهمل وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

وهل من الحكمة الشرعية تعطيل النهي عن المنكر؟

ولماذا لا تنكر الجماعة الممارسات الشركية المنتشرة في مناطق كثيرة من العالم؟

ما السر في عدم عناية الجماعة بتدارس توحيد الألوهية ومعنىٰ الشهادتين التي هي أساس دعوة جميع الرسل؟ وعدم العناية بالحث علىٰ السنة والتحذير من البدع؟

لم تعتني الجماعة في البيانات وحلق التعليم بتدارس الأحاديث العظيمة التي عدها أئمة السلف من الأصول التي بني عليها الدين، كحديث «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**».

ما سبب الجفوة بين الجماعة والعلماء وطلاب العلم السلفيين؟

وهل صحيح ما يتردد بين الأحباب أنهم يتعلمون العلم ولا يعملون به؟

ما سر التقارب بين الجماعة والمتصوفة؟

وما حقيقة البيعة الصوفية التي تقوم بها الجماعة؟

إلىٰ غير ذلك من التساؤلات والملاحظات التي ذكرها الأخ صديق في هذه الرسالة.

وقد سلك كاتب هذه الرسالة مسلكًا سديدًا في النصح؛ حيث حصر الملاحظات التي تبينت له وأرسلها إلىٰ المشايخ في قيادة الجماعة لكنهم تجاهلوها ولم يردوا عليها! عندها أثارها مع بعض إخوانه القدامىٰ في

الجماعة وتناقشوا فيها.

ومن خلال حيدة المشايخ عن الإجابة والإصرار علىٰ بقاء الأمور علىٰ ما هي عليه، وإجابات بعض إخوانه التي تدل علىٰ ضحالة العلم، والتكلف في الإجابة والتهرب من مجابهة الأمور، ودراسة الملاحظات بقصد الإصلاح وتلافي الأخطاء، تبين للأخ صديق من كل ذلك أن تلك الأخطاء والمخالفات ناتجة عن المنهج الذي وضع للجماعة أول مرة، والذي لا يقبل من أحد مجرد التفكير في مناقشته، وتربية الجماعة علىٰ دقة الالتزام به، والحماس له والدفاع عنه.

وفي إزاء هذه المعطيات واليأس من قبول النصح من القائمين علىٰ أمر الجماعة لجأ الأخ صديق إلىٰ كتابة هذه الرسالة ليسطر فيها شهادته، ويقدم لإخوانه نصيحته ويبرئ عند الله ذمته.

وهذه الملاحظات التي ذكرها الأخ صديق توافق في معظمها الملاحظات التي ذكرها بعض الذين انخرطوا مع الجماعة لفترات طويلة، وقد بين -جزاه الله خيرًا- جوانب هامة وأثر ترتيب الجماعة ومنهجها علىٰ إغلاق فكر أتباعها وتزهيدهم في العلم الشرعي، والتقليل من شأن العلماء، وشعورهم مع ذلك أنهم هم الأهدىٰ في نهج السبيل والأفضل في طريق الدعوة.

ومن أهم الملاحظات التي لاحظها:

أن للجماعة نهجًا منظمًا للصد عن علماء أهل السنة أتباع السلف الصالح وطلاب العلم الحريصين علىٰ السنة، فتارة يتهمونهم بعدم العمل

بالعلم، وتارة بأنهم انصرفوا إلىٰ الدنيا والوظائف وتركوا جهد النبي ﷺ بزعمهم، وتارة بالاشتغال بالجزئيات والخلاف، وينبذونهم بأنهم [أصحاب فكر].

ومن ملاحظات الأخ صديق الهامة: إدراكه الصلة الوثيقة بين جماعة التبليغ والتصوف، وقد ذكر عدة شواهد لذلك من أصرحها تلك البيعة الصوفية التي يبايعون عليها والتي أقر بها الشيخ إنعام الحسن.

وذلك يجعل من جماعة التبليغ طريقًا ينقل من استجاب لهم من أفراد الأمة من المعاصي، ويوقعهم في أوحال البدع والخرافات والجهل.

وهذه الملاحظات والمشاهدات التي ذكرها الأخ صديق تضيء الطريق لمن شاء الله له الهداية من أفراد الجماعة وأقبل علىٰ قراءتها بنية طلب الحق، وتلمس شواهدها في واقع الجماعة ومنهجها.

وأحب أن أذكر هنا أنه كانت لي بجماعة التبليغ صلة قديمة عندما كنت أدرس بجامعة البترول والمعادن بالظهران عام ١٣٩٥، وسافرت معهم إلىٰ الهند (نظام الدين) والباكستان (راي وند) وتجولت معهم فيها وفي البحرين وداخل المملكة وتيسر لي -بحمد الله تعالىٰ- قراءة كثير مما كتب عنها وجرىٰ بيني وبين بعض القدامىٰ في الجماعة حوارات ومناصحات كثيرة وخلصت من ذلك كله بنتائج أهمها:

أن الجماعة تربي أفرادها علىٰ اقتحام ميدان الدعوة، والكلام في مسائل الدين بلا زاد من العلم وبصيرة، وتزهد في العلم.

وكثير من الأخطاء التي ذكرها الأخ صديق كانت لديَّ قناعة بوجودها في الجماعة قبل أن أعرفه وأطلع علىٰ ما كتبه.

وإني بذلك أسجل شهادة تضاف إلىٰ شهادة الأخ صديق، وشهادة الأخ سعد الحصين، وشهادة الأخ عباس شرقاوي الذي بايع المشايخ علىٰ الطرق الصوفية، وهو الذي فضح أمر البيعة، وغير هؤلاء ممن تبين لهم جنوح جماعة التبليغ عن المنهج القويم، وخطورة التحزب والتفرق أيًّا كان، وقاموا بواجب البيان نصحًا للأمة وإبراءً للذمة وقيامًا بفريضة التواصي بالحق.

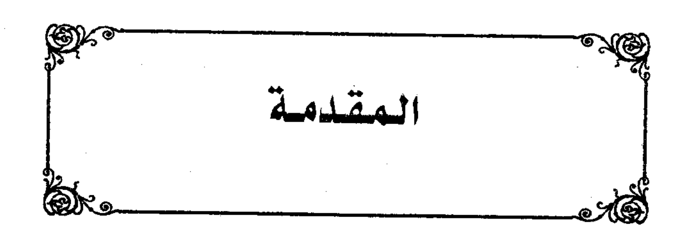
وفي الختام أسال الله أن يجزي الأخ صديق خير الجزاء علىٰ ما بذل من النصح، وأن ينفع بما كتب، وأن يهدينا جميعًا إلىٰ صراطه المستقيم، والحمد لله أولًا وآخرًا.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

كتبه

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن

المنصور الجربوع



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

هذه نصيحة مني لإخواني المنتمين لجماعة التبليغ، وشهادة لغيرهم عن تجربتي مع جماعة التبليغ؛ حيث التزمت بفكر وعمل الجماعة لمدة خمسة عشر عامًا، وكنت كغيري من أهل التبليغ أتحمس كثيرًا للجماعة، وأحاول تبرير الكثير من الانحرافات والممارسات والمفاهيم الخاطئة بحجة أنه لا يجب أن ننسب خطأ شخص معين للجماعة حتىٰ ولو كان هذا الخطأ من المشايخ القائمين علىٰ أمر التبليغ مادام المنهج والتوجه صحيح.

وكنا نغضب لأي ملاحظة أو بيان لخطأ ما أو تساؤلات مشروعة حول منهج وتوجه ومرجعية الجماعة، سواء صدرت هذه الملاحظات من العلماء أو من غيرهم.

وحقيقة كنا نسيء الظن بهم، ونعتقد أنهم يكذبون علىٰ الجماعة والمشايخ الذين يقودون هذا العمل، والبعض من الأحباب كان يقول إن هذه من غيرة القرناء! أي أن العلماء وهم عاملون في حقل الدعوة وتعليم الدين، يشعرون بالغيرة لمن ينافسهم في هذا المجال أو يتفوق عليهم.

أما أنا فكنت أرىٰ أن أي إنسان يعمل فهو معرض للخطأ، وكنت أتساءل دائمًا: لماذا لا يتوجه هؤلاء العلماء والمعترضون علىٰ التبليغ، لماذا لا يتوجهون بهذه الملاحظات والتوجيهات إلىٰ القائمين علىٰ هذا العمل، ولهم مراكز وتجمعات سنوية في الهند والباكستان، وفي كثير من الدول العربية التي توجد فيها مراكز كبيرة كقطر، والإمارات العربية المتحدة، والأردن، والسودان، وغيرها، وتعقد فيها اجتماعات سنوية يحضرها المشايخ وكثير من القدماء وقيادات التبليغ في العالم.

وكنت لا أشك أنهم سوف يجدون الإجابات والإيضاحات التي يريدونها، وإذا كان هناك أي خطأ أو تجاوز فإنهم علىٰ استعداد للرجوع للحق والعمل به، ولكن هذا الاعتقاد تبدد أخيرًا بتجربتي الشخصية مع المشايخ، رغم أني من أفراد الجماعة ومن القدماء فيها ولكن عندما طلبت مقابلة المشايخ وطلبت الإجابة عن بعض الأسئلة وتفسير لبعض الممارسات والمصطلحات الخاطئة المتداولة بين الأحباب، فوجئت بالإعراض والتجاهل من المشايخ

والغضب والاستنكار من أكثر القدماء.

وكنت أسمع بحرص المشايخ وتأكيدهم على القدماء وأمراء المناطق في كل العالم وطلبهم منهم، أن يرسلوا إليهم أسئلة بكل ما استشكل عليهم أو يرسلوا جماعة خاصة بذلك، لإفادتهم وتقديم الإجابات المناسبة لها ويؤكدون على ذلك في كل مرة يأتون فيها أو تذهب إليهم الجماعات وزودوا أمير كل منطقة برقم الفاكس المباشر للتواصل معهم في ذلك.

فكنت أتساءل كيف مع هذا الحرص تجاهلوا ما قدمته إليهم من أسئلة؟

ولكن دهشتي لم تدم طويلًا حين عرفت أني تجاوزت الخطوط الحمراء، لأن الأسئلة والاستفسارات المسموح بها هي فقط المتعلقة بأعمال ووظائف التبليغ، وكيفية تطبيقها والإشكالات الناجمة عن التطبيق.

وبعد تجاهل المشايخ لتلك المذكرة سلمت نسخًا منها لبعض القدماء وقادة العمل في المملكة للتباحث حولها، لكنهم وأسوة بالمشايخ تجاهلوها ولم يطلعوا عليها من معهم من القدماء وأهل الشورى إلا واحدًا من هؤلاء القدماء حاول الرد على ما قدمته للمشايخ، واستعان على ذلك بمذكرة مكتوبة من الشيخ إنعام الحسن إلى الشيخ سعد الحصين، ومذكرة مكتوبة من الشيخ أبو الحسن الندوي، وكذلك رسالة مكتوبة من الشيخ أحمد الأنصاري الأستاذ بالجامعة الإسلامية بـ (لاهور) للتعريف بعمل التبليغ وأهميته، وكذلك رسالة أخرى يتداولها الأحباب السعوديين باسم برنامج عملي للدعاة مكتوبة من ثلاث من الطلبة المصريين من خريجي الجامعة الإسلامية الذين انضموا للتبليغ وهم (شعبان السنهوري- سمير محمد أبو فايد- محمد فرج علي).

وكتبت لذلك تعليقًا علىٰ ما حوته رسالة الشيخ أحمد الأنصاري، ومذكرة الشيخ إنعام الحسن، ومذكرة الشيخ أبو الحسن الندوي، ومذكرة الطلبة المصريين وجميعها تمثل ذات الدفوع والمبررات التي يكررها القدماء والمشايخ دفاعًا عن التبليغ، وسوف أوردها في هذه الرسالة تباعًا إضافة إلىٰ المذكرة التي قدمتها للمشايخ عند قدومهم للحج هذا العام ١٤٢٧متناولًا في ذات الوقت جميع أعمال التبليغ بالتعليق والشرح وبيان الانحرافات الخطيرة التي تحدث وسط الأحباب بسبب تعمد إشغالهم وإبعادهم عن العلم الشرعي وتجهيلهم حتىٰ يسهل توجيههم والسيطرة عليهم،وقد تم ذلك وبنسبة كبيرة جدًّا، وأسهم في تكوين عقلية ضعيفة وهشة قابلة للانحراف، ويتساوىٰ في ذلك الجميع العرب وغير العرب وأهل الخليج وبقية العرب عكس ما يظن البعض.

وأسأل الله ﷻ أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يدلنا علىٰ الحق ويوفقنا للثبات عليه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

❊ ❊ ❊

المذكرة المقدمة للمشايخ عند قدومهم للحج هذا العام (١٤٢٧):

هناك بعض المصطلحات يتداولها الأحباب نقلًا عن المشايخ وكذلك بعض الاستفسارات أرجو الإجابة عنها، علمًا بأني طلبت مقابلتكم مرارًا ولم يتيسر لي ذلك، وأفهمت أن عليَّ أن آتي بالأسئلة والاستفسارات مكتوبة، وأقدمها فيما يأتي:

١ - كثير من الأحباب القدماء يلقنون الجدد المنضمين إلىٰ الجماعة هذا القول (لا تسألوا ولا تستفتوا إلا العلماء الربانيين)[1].

فهل هذا القول صحيح؟

وإذا كان صحيحًا فمن هم العلماء الربانيون؟

وهل هناك سند لهذا الكلام من السنة أو أقوال الصحابة؟

وكيف نميز العالم الرباني من غيره؟

وهل العلماء الملتزمون بمنهج السلف ليسوا منهم كما يفهم ويردد ذلك الكثير من الأحباب؟

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران:٧٩].

قال ابن كثير: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾، قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد: أي حكماء علماء، وقال الحسن وغير واحد: فقهاء، وقال الضحاك في قوله تعالىٰ: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ قال: حق علىٰ من تعلم القرآن أن يكون فقيهًا، تعلمون أي تفقهون، وقرئ بالتشديد من التعلم، ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ أي: تحفظون ألفاظه.

٢- كثير من الأحباب يرددون في بياناتهم هذه المقولة: في المسائل الفقهية نسأل العلماء وفي مسائل الدعوة نسأل علماء الدعوة، فهل هناك طائفتان من العلماء؟

ومن أتىٰ بهذا التقسيم؟

وهل علماء الفقه والشريعة لا يعلمون فقه الدعوة وفقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أمر الله به؟

وهل لدينا في التبليغ ترتيبًا خاصًّا أو فهمًا خاصًّا في النهي عن المنكر يختلف عما قرره علماء الأمة الأعلام؟

لقد بين العلماء فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقرروا أنه يمكن تأخير الإنكار أحيانًا للحاجة حسب ما قرروه من قواعد يمكن الرجوع إليها، ونحن في التبليغ نقول: (لا ننكر مطلقًا) مع العلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلاهما من أمر الله، فهل لدينا ترتيبًا خاصًّا أو فقهًا خاصًّا بنا في ذلك كما يفهم الأحباب؟

٣- يتداول الأحباب مقولة منسوبة لأحد المشايخ وهي قوله: لا نأخذ في الدعوة إلا من الشيخ إلياس والشيخ يوسف، فهل هذا الكلام صحيحًا؟

وإذا كان صحيحًا كيف نوفق بينه وبين كلام سلف الأمة وعلمائها الأعلام أن الرجوع إنما يكون إلىٰ الله ورسوله.

قال الإمام مالك: «كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر».

وقوله: «ما ثبت عن النبي ﷺ فهو مذهبي».

وقول ابن عباس ﷺ: «توشك أن تقع عليكم حجارة من السماء، أقول لكم قال رسول الله ﷺ، وتقولون قال أبو بكر وقال عمر».

٤- بعض القدماء عندما سئلوا عن قراءة الأحباب في الهند من كتاب تبليغي نصاب وهو كتاب مختلف حوله فيه كثير من الأحاديث الضعيفة بل والموضوعة فكانت إجابتهم: أن الشيخ إنعام الحسن عندما سئل عن ذلك، أجاب بأنه ليس لدينا الاستطاعة والقدرة لترجمة كتب السنة الصحيحة وكلامًا كثيرًا في هذا المعنىٰ!

فهل هذا الكلام صحيحًا؟ علمًا بأننا نعلم أن هناك كتبًا كثيرة مترجمة.

فكيف يستقيم هذا الكلام، ونحن نريد أن نربي أجيال الأمة علىٰ السنة والعمل بها؟

٥- الكثير من القدماء وبعض المشايخ يذكرون في مذاكراتهم وبياناتهم: (أن هذا العمل قبل عند الله)، فهل هذا الكلام صحيحًا، وكيف عرفنا ذلك؛ لأن قبولنا وقبول العمل الذي نقوم به من مسائل الغيب لا تأتي إلا بوحي، وقد نهىٰ النبي ﷺ أن نزكي أحدًا، وأمرنا أن نقول: نحسبه كذا والله حسيبه، حتىٰ من يموت في المعركة لا نقطع له بالشهادة إلا من جاء به النص عن النبي ﷺ لأن هذه من مسائل الغيب التي لا يعلمها إلا الله.

قال ابن القيم: إن الله جعل جنس هذا الكلام من الكلام علىٰ الله بغير علم والذي نهىٰ عنه وعده من كبائر الذنوب، لقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ

سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

وبين النبي ﷺ أن الله أحبط عمل رجل لأنه قال لرجل: لن يقبل الله منه أو لن يغفر الله له.

وقد كان النبي ﷺ يقول في استفتاح صلاة الليل: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم**»(١).

فإذا كان هذا حال النبي ﷺ فكيف نزكي نحن أنفسنا؟

وقد بين النبي ﷺ أن الذين ذكرهم الله في الآية: ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون:٦٠].

بين النبي ﷺ أنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويفعل الطاعات ويخشىٰ ويخاف ألا يقبل منه، فمن نكون نحن حتىٰ نزكي أنفسنا؟!

٦- أحد الأحباب الجدد خرج مع الجماعة من المدينة النبوية إلىٰ الحبشة وذكر في كلامه عندما قام للبيان الاستفتاح الوارد عن النبي ﷺ وهو: إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه... إلىٰ آخره(٢).

أحد القدماء في الجماعة أنكر عليه هذا وقال: إن هذا ليس من ترتيبنا.

فهل هذا الكلام صحيحًا؟

---

(١) صحيح مسلم رقم ٧٧٠، سنن الترمذي ٣٤٢٠.

(٢) سنن الدارمي رقم ٢٢٠٢.

وإذا كان صحيحًا هل من ترتيبنا عدم العمل بالسنة الثابتة وهجرها؟

مع أن المبررات التي يسوقها الأحباب لذلك ضعيفة وغير مقنعة، مع العلم أن الشيخ يوسف أوردها في كتاب حياة الصحابة في قصة إسلام الصحابي الجليل ضماد، وقال عنها شيخ الإسلام بن تيمية: هذه الكلمات تحوي عقد نظام الإيمان والإسلام.

فهل من المصلحة هجر السنة وعدم العمل بها، وكذلك عدم بيان الحق؟

ولا أقصد الإنكار؛ لأن الأحباب الآن اختلط عليهم الأمر وصعب عليهم التمييز بين الحق الذي يجب بيانه وتعلمه ومذاكرته والدعوة إليه، وبين الإنكار، ومستندهم أن بعض المسلمين لا يحبون بعض المصطلحات الواردة في السنة لذلك نحن لا نعتني بها.

وأضرب لذلك مثلًا، وهو الحديث الصحيح الوارد عن النبي ﷺ حيث قال: **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»**[١].

قال عنه الإمام النووي: **«هذا الحديث يجب تعلمه وإشاعة الاستدلال به»**.

وقال عنه الحافظ ابن رجب: **هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام أو كلامًا نحو هذا.**

ونحن في التبليغ محتاجون لذلك قبل غيرنا، ويعلم الله أن كثيرًا من القدماء وليس الجدد متلبسون بكثير من البدع القولية والعملية في العبادات والاعتقادات.

---

(١) صحيح البخاري رقم ٢٥٥٠، وفي رواية مسلم رقم ١٧١٨: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

ونفس الشيء يصدق علىٰ بياننا للصفة الأولىٰ (لا إله إلا الله محمد رسول الله)؛ فنحن ندور حولها بعبارات عامة، ونبين الشق الذي ليس حوله خلاف رغبة في جمع أكبر عدد من الناس وهو توحيد الربوبية، وهو أن الله خالق ورازق ومتصرف وبيده كل شي، ونتحول بعد ذلك إلىٰ الكلام عن زيادة الإيمان.

وبذلك لا نحقق لا إله إلا الله محمد رسول الله لا في شقها الأول ولا في شقها الثاني وهو اتباع النبيﷺ، ونتحاشىٰ تبيين المقصود ومعنىٰ لا إله إلا الله لذات السبب!

والمقصود هو تحقيق العبودية لله، أي: لا نعبد غير الله، مع بيان معنىٰ العبادة بالتفصيل؛ لأن أكثر الأمة اليوم تجهل معنىٰ العبادة، ما المقصود بالعبادة التي يجب ألا تصرف إلا لله؟

لأن الكل يمكن أن يكون معه بعض الإيمان ولا يكون من الناجين إذا شاب إيمانه شرك، قال تعالىٰ: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام:٨٢] الآية.

أما التركيز فقط علىٰ زيادة الإيمان، وكيف تأتي فينا الصفات وامتثال الأوامر، فذلك يكون بعد تحقيق توحيد العبادة، لأن النبيﷺ عندما أرسل معاذًا ﷺ إلىٰ اليمن أمره: «**ليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**»[1].

وإذا كان المقصود المعنىٰ الأول وهو تحقيق توحيد الربوبية وهو أن الله

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل رقم ٢٠٧١، صحيح علىٰ شرط الشيخين.

خالق ورازق، ومتصرف، فإن قريشًا والمشركون كانوا مقرون بذلك، ووعدوا بالاجتماع جميعًا علىٰ النبي ﷺ بعد أن يملكوه عليهم، ويجعلوه أكثرهم مالًا ويطيعوا أمره إذا تنازل عن دعوته إليهم بنبذ ما يعبدون من آلهة، وأن يتوجهوا لله وحده بجميع أنواع العبادات.

ولكنه ما قبل منهم ذلك، وأوذي بسبب ذلك وعذب وطرد من مكة، وكذلك طرد جميع الأنبياء أو قوتلوا لهذا السبب.

والله ﷻ قال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٢].

وهذان الأصلان تدور عليهما مقاصد القرآن ودعوة النبي ﷺ وجميع الأنبياء.

لكن إذا ركزنا كل جهدنا علىٰ تعليم ومذاكرة الفضائل، وأتت فينا صفات التواضع وخفض الجناح والإكرام والخدمة، والمحافظة علىٰ الصلوات، واجتناب المحرمات، لكن في نفس الوقت متلبسين بالشرك والبدع.

لأن الذي يكتفي بذلك دون عناية بتحقيق التوحيد والسنة فإنه لايكون من الفائزين، كما بين القرآن والسنة، بل العكس من ذلك هو الصحيح وهو أنه إذا حقق التوحيد وفيه بعض الظلم من الذنوب والمعاصي والتقصير في بعض الواجبات تكاسلًا، فإن الله وعده **بالمغفرة، بل وعدّه** من عباد الله

المصطفين كما قال تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر:٣٢].

وبين النبي ﷺ موعود الله ﷻ في الحديث القدسي: **«قال الله تعالىٰ: يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك علىٰ ما كان منك ولا أبالي.**

يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي.

يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة»[١].

فدل الحديث علىٰ أن تحقيق التوحيد والسلامة من الشرك شرط لقبول التوبة وتكفير الذنوب.

٧- عندما خرجت إلىٰ الهند لاحظت المداومة يوميًّا في المركز علىٰ تلاوة سورة يس، وكذلك الدعاء يوميًّا بعد العصر جماعة، فهل هذه الكيفية كانت في مسجد النبي ﷺ؟

وهل هناك سنة ثابتة بذلك؟

هل تعد من البدع أم لا؟

ولماذا نفعلها ونحن دعوتنا الهدف منها إحياء سنة النبي ﷺ لتكون مساجدنا كمسجد النبي ﷺ؟

فإذا كان هذا حال مركز الدعوة العالمي الذي يفترض أن يكون نموذجًا

---

(١) سنن الترمذي الحديث رقم ٣٥٤٠.

لجميع المساجد فكيف بالمساجد الأخرىٰ في البلدان البعيدة والنائية!

كذلك لاحظت تأخير الصلاة إلىٰ آخر وقتها في المركز الرئيسي في نظام الدين وغيره من المراكز، مع أن السنة الثابتة هي أفضلية الصلاة علىٰ أول وقتها كما بين العلماء، وعندما سألت أحد القدماء بعد رجوعي للسعودية قال لي: هم أحناف!

فقلت: إذن ما فائدة الدعوة إذا كان كل إنسان يتمسك بمذهبه وطريقته وما اعتاده من عقائد وعبادات ولو خالفت السنة الثابتة عن النبي ﷺ؟

قال الإمام الشافعي: «أجمع الناس أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن ليدعها لقول أحد من الناس».

٨- أكثر الأحباب الآن يجهلون كثيرًا من أمور دينهم وليس لديهم وقت لتعلم ما يصحح اعتقادهم وعبادتهم، والسبب في ذلك الهدايات، لأن الترغيب الآن يحث الأحباب للخروج أربعة أشهر سنويًا أو أربعين يومًا، وعندما يرجع من الخروج يلزم (الأعمال الخمسة) وهي:

جولتين في الأسبوع- جولة مقامية- وجولة انتقالية- وحلقتي تعليم، حلقة في البيت، وحلقة في المسجد من رياض الصالحين- ومشورة يومية- وتفرغ يومي لثمان ساعات وأقل القليل ساعتين ونصف- وخروج ثلاثة أيام شهريًا، هذا إضافة إلىٰ حضور المشورة الأسبوعية- والاعتكاف الأسبوعي.

وعمليًا، هذه الأعمال الخمسة لا تترك للأحباب وقتًا ليتعلموا أمور دينهم؛ لأن بقية الوقت يكون لتحصيل المعاش **وقضاء الحوائج إن** وجد وقت.

وأنا أعرف ذلك لأنني مارسته لأكثر من عشرة أعوام، ويعلم الله أني اختبرت كثيرًا من الأحباب ووجدتهم يجهلون معنىٰ لا إله إلا الله، وأكثر الأحباب لا يعرفون الفرق بين سنن الوضوء من فرائضه.

وأعرف كثيرًا من الأحباب وهم في الدعوة لأكثر من عشرين سنة وهم يذكرون الله بأذكار بدعية مخالفة للسنة.

فهل كل هذا ليس من اهتمامنا في التبليغ؟

وهل هدفنا هو جمع أكبر عدد من الناس مع اختلاف عقائدهم وطرقهم فهذا أشعري، وهذا ماتريدي، وهذا صوفي، وهذا جاهل لا يعرف من ضروريات دينه الشيء الكثير؟

فهل نحن علىٰ خلاف منهج السلف المنقول عن الصحابة والتابعين والعلماء الأعلام كمالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد؟

والكتب المعتبرة المشتملة علىٰ الأدلة النقلية عن السلف والتي بينت ذلك، كتاب العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي، وكذلك العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وأنا أسأل: ما الفائدة إذا كنت لا أستطيع أن أدعو من كان معي من الأحباب وغيرهم إلىٰ الصراط المستقيم الذي جاء عن النبي ﷺ وعن السلف الصالح؟

وهو المنهج الذي أمرنا الله ورسوله بلزومه واتباعه عند الاختلاف والافتراق؛ لأن النبي ﷺ بين أن كل تلك الطرق والسبل في النار إلا ما كان

على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه؟

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة»**[١].

٩- أكثر الأحباب الآن، يرغبون في بياناتهم ومذاكراتهم ويقولون: (يجب أن نمشي في الدعوة على مزاج المشايخ! لذلك يجب ألا نغيب عن المراكز أكثر من سنتين).

فهل هذا الكلام صحيحًا؟

وهل مزاج المشايخ دائمًا وفي كل الأزمان متطابق مع السنة؟

١٠- البعض من الأحباب يردد مذاكرة لأحد المشايخ وهو قوله: استغفارنا يحتاج إلى استغفار لأننا نستغفر الله بالغفلة، فيستحسن أن نكتفي بهذه الصيغة فقط، وهي اللهم اغفر لي، ولا نقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه[٢].

والسؤال: لماذا نفتي ونرغب الأحباب للتحول من الذكر الفاضل للذكر المفضول وما هو سند ذلك؟

---

(١) سنن ابن ماجه رقم ٣٩٩٣ ج٢.

(٢) سنن الترمذي ج٥ ص ٥٦٨ قال: سمعت بلال بن يسار بن زيد مولى النبي ﷺ يقول: حدثني أبي عن جدي أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان فر من الزحف»**. صحيح.

١١ - من أصولنا في التبليغ عدم الإنكار، فلماذا ننكر على جماعة النفي والإثبات ونتهمهم ونحذر منهم الأحباب ونوصي بمقاطعتهم وعدم استقبالهم أو التعامل معهم؟[١].

«وهذه كانت آخر فقرة من الأسئلة والملاحظات الموجه مني للمشايخ، ولم يردوا عليها، وكذلك لم تعجب أكثر القدماء، واعتبروها خروج على تقاليد وترتيب الجماعة».



(١) جماعة اعتبرت منشقة عن التبليغ ظهرت في الباكستان بقيادة الشيخ أرشد وأكثر أتباعها في الدول العربية، وإندونيسيا وماليزيا، وهم من خيرة الشباب في التبليغ، إلا أنها حوربت بوسائل شتى منها الكذب عليهم وعزلهم، رغم أنه ليس لديهم خلافات جوهرية مع دعوة التبليغ.

لماذا تجاهل المشايخ المذكرة التي قدمتها لهم ولماذا استنكر القدماء توجيه هذه النوعية من الأسئلة؟

إن الأحباب اليوم وبسبب الانغلاق والسياسة المنظمة لإبعادهم عن المعارف الضرورية في الدين، وتلقين قيم الطاعة والانقياد والتعظيم للمشايخ، أصبح جميع الأحباب ومن كل الجنسيات من العرب وغيرهم يشكلون نمطًا واحدًا من التفكير، ونسخة مكررة حتىٰ في المصطلحات ولغة التخاطب، أصبح لديهم لغة خاصة بهم، والمشايخ يوحون إليهم أن هذا من فضائل وحسنات التبليغ؛ حيث إن الهدف النهائي هو تكوين جماعة فكرها واحدًا، وهدفها واحدًا، وكلامها واحدًا.

وتحت ظل هذا الهدف تم اختيار عناوين ولافتات براقة حوتها الصفات الست وغيرها من أصول التبليغ، خدعت الكثيرين ومنهم بعض طلبة العلم والعلماء، ولا يعمل بها حقيقة في التبليغ، وسوف أذكر ذلك لاحقًا.

أما العناية الفائقة والتركيز الشديد من المشايخ علىٰ الشورىٰ، والتأكيد علىٰ الالتزام بها فمقصودها تجسيد قيم الطاعة والولاء للمشايخ؛ حيث إن المشايخ في الهند الذين يقودون هذا العمل لا يرون في أحد أهلية للحديث، أو إبداء الرأي في أمر الدعوة، حتىٰ لو كانوا من علماء الأمة الكبار أو حتىٰ مراكز الدعوة الكبيرة كمركز باكستان وغيره.

والشاهد علىٰ ذلك التعنيف والإنكار علىٰ الشيخ عبد الوهاب، ومشايخ الباكستان بسبب ترتيب النفي والإثبات الذي تم استحداثه هناك في

مركز باكستان، ولا يختلف في مضمونه عن موضوع دعوة التبليغ، رغم أن مركز باكستان يعد من أكبر مراكز التبليغ في العالم، والشيخ عبد الوهاب من أكبر المشايخ سنًّا وتجربة وإسهامًا في نشر التبليغ في العالم، وعاصر المؤسسين من مشايخ التبليغ.

وبمناسبة النزاع حول ترتيب النفي والإثبات والجفوة التي حصلت بين مركزي باكستان والهند بسبب ذلك سمعت أمير الدعوة الآن الشيخ سعد وهو من أسرة الشيخ إلياس وفي الثلاثينات من العمر، سمعته يقول: لا نأخذ في الدعوة إلا من الشيخ إلياس والشيخ يوسف.

وهو يقصد ما يقول؛ لأن هذا معمول به فعلًا، وهو مهم جدًّا في فهم حقيقة التبليغ، وترتيبًا علىٰ ذلك أصبحت إمارة التبليغ وراثة يتوارثها أبناء الشيخ إلياس، وأصبحت هذه الأسرة هي مصدر التلقي والتوجيه بحجة أنها أسرة مباركة، وأن الله فاتح عليها كما يقال الآن، وبذلك لا يختلف التبليغ عن أي طريقة صوفية موجودة الآن.

وبسبب هذا التوجيه المنظم والمدروس فإن جميع الأحباب الآن يكررون ذات الحجج المعدة سلفًا للدفاع عن التبليغ وتبرير الأخطاء، ويحفظون أقوال بعض العلماء الذين أثنوا علىٰ التبليغ في فترات مختلفة، ويبرزونها عند الحاجة للهروب من الإجابة عن الأسئلة الملحة حول الممارسات الخاطئة في التبليغ.

وقد أرسل لي أحد القدماء ومن قادة العمل بالسعودية ثلاث رسائل للشيخ أبو الحسن الندوي والشيخ أحمد الأنصاري، ورسالة للشيخ إنعام

الحسن، إضافة إلىٰ رسالة أحضرها لي بعض القدماء السعوديين أعدها ثلاثة من الطلبة خريجي الجامعة الإسلامية معتقدين أنها تجيب عن كل الأسئلة والاستفسارات التي قدمتها للمشايخ، والتي رفضوا الرد أو التعليق عليها، علمًا أن هذه الرسائل تؤكد جميع ما قلته ولا تنفيه، وسوف ألخص كل ذلك تباعًا بقدر المستطاع إن شاء الله تحت العناوين التالية:

ما هي الأسئلة المسموح بها والتي يريدها المشايخ؟

لم يرد المشايخ علىٰ الأسئلة والاستفسارات التي قدمتها لهم، رغم أنهم مكثوا لمدة شهر تقريبًا في المدينة النبوية لعمل المذاكرات والإجابة عن الأسئلة[1].

---

(١) درج المشايخ ومنذ عهد بعيد علىٰ الحضور للحج جميعًا في كل سنة وترية والسبب الذي يتناقله القدماء هو أن المهدي المنتظر سوف يظهر في سنة وترية، لذلك فإن المشايخ وأغلب القدماء يحرصون علىٰ حضور الحج في كل سنة وترية.

والبعض قد يخالفونني الرأي بأن ذكر ذلك ليس مهمًا، ولكني أراه مهمًا جدًّا، وله مدلولات وأبعاد خطيرة تؤدي إلىٰ السطحية في تناول أمور الدين وتسفيه وتحجير العقول وتغييب روح السنة والدليل والأثر، خاصة إذا ارتبطت في أذهان الأحباب بأن الإجابة عنها لابد أن تكون من أناس خاصين وهم المشايخ، لأن الله فاتح عليهم بسبب جهدهم للدين، وإن الله أورثهم الفهم للدين والفهم للقرآن، وكلامًا كثيرًا من هذا القبيل.

وسوف أعلق علىٰ بعض الأسئلة والملاحظات التي قدمتها للمشايخ في خطابي إليهم.

وقبل أن أبدأ أود التأكيد علىٰ هذه الحقيقة، وهي أنني إن شاء الله مسئول عن كل ما أكتب وجميع القدماء مسئولون أيضًا، لأن هذا من بذل النصح لله، وألا تأخذنا العصبية وشهوة الانتماء لجحد الحق والتغاضي عن الباطل بهدف تحسين الصورة أمام الآخرين والمعارضين، وإلا أصبح التبليغ خطرًا علىٰ الدين.

=

ولا أدري هل اعتبروا هذه الأسئلة غير مهمة؟

وهل الاهتمام فقط علىٰ نوعية الأسئلة المتداولة اليوم بين الأحباب، وأصبحت الفقه الذي يشغل الأحباب اليوم، وهي أسئلة سطحية بعيدة عن المقاصد الشرعية المعتبرة ومن أمثلتها:

متىٰ يتم حساب المدة للخارج، منذ تحركه من بيته أم من مكان التشكيل؟

هل الأذكار اليومية تحسب من ضمن التفرغ اليومي لمدة ساعتين ونصف أم لا؟

الجماعة الخارجة لمدة أربعين يومًا هل تشكل لمدة واحدة، أم تذهب وترجع وتشكل مرة أخرىٰ؟

وللعلم كان هذا مثار نزاع وخلاف حاد في كثير من المراكز في العالم، وأرسلت جماعات خاصة من المشايخ لمعالجة هذا الأمر!

ومتىٰ يكون موعد حلقة التعليم للجماعة الخارجة (من رياض الصالحين) بعد النوم أم بعد الطعام؟

وأسئلة كثيرة من هذا القبيل.

=

وقد كان الصحابة والسلف لا يترددون إذا ظهر إليهم الحق أن يرجعوا إليه ويعملوا به، يروىٰ عن عمر ﷺ أنه قال: «أخطأ عمر وأصابت امرأة».

ومثل هذا كثير لا يحصىٰ لمن تأمل حياة الصحابة والسلف، وكثير من العلماء السائرين علىٰ نهج السلف إلىٰ يومنا هذا والحمد لله يتبعون الحق والدليل ويعملون به قدر جهدهم دون تعصب لمذهب أو انتماء.

ما هي مرجعية الجماعة وانتماؤها الفكري؟

لابد أن نفهم شيئًا مهمًّا من خلال مسيرة التبليغ خلال ما يربو علىٰ قرن من الزمان، وهو أنه في التبليغ ليس لدينا مرجعية محددة، وكل ذلك بسبب الحواجز الحديدية المضروبة بين الأحباب والعلم والعلماء.

وقد لا يكون هذا الكلام مفهومًا للكثير من الأحباب، مع أن كل المنتمين إلىٰ الجماعات والفرق علىٰ بصيرة من أمرهم، حتىٰ عوام الصوفية لهم حاسية وقدرة علىٰ التمييز والتقدير لما يوافقهم وما يخالفهم، وهذا يفسر التأييد المطلق لكل قادة ومشايخ الطرق الصوفية في العالم وبدون استثناء للتبليغ، وهذا له مدلولات عميقة، وهو بسبب رضاهم وتوافقهم مع منهجنا وما ندعو إليه، وهو التغاضي عن كل شيء [بهدف جمع الأمة علىٰ الألفة والمحبة كما نقول]، وليس جمعهم علىٰ العقيدة الصحيحة والدين الصحيح، وهو أساس دعوة الأنبياء.

وكل الفضائل والموعودات من الله التي نذكرها ونرغب الناس فيها مترتبة علىٰ الدين الصحيح والعقيدة الصحيحة وهي جوائز من الله بسبب ذلك، فالحب والموالاة بسبب ذلك والبغض والمعاداة أيضًا.

وقد نجحوا في حملنا علىٰ مناصرتهم وموالاتهم، وفي نفس الوقت نعادي أهل الحق، ونحن نفعل ذلك متذرعين بحجج منها الحكمة واللين! وهذه من فخاخ الشيطان التي وقعنا فيها دون أن نشعر.

وتوافقهم معنا ومناصرتنا لهم ليست بسبب تشدد الآخرين معهم كما

يقول الأحباب، كما أنه ليس من الحكمة واللين عدم بيان الحق، ولا أقصد الإنكار، لأننا في التبليغ اختلط علينا الأمر وصعب علينا التمييز بين الحق الذي يجب تعلمه ومذاكرته والدعوة إليه وبين الإنكار!

وسوف أبين ذلك فيما يأتي:

من أصولنا في التبليغ ألا ننكر مطلقًا:

قد يتوهم البعض ويظن أن ذلك يتم وفق الضوابط الشرعية التي وضعها العلماء من تأخير الإنكار في بعض الحالات إذا ترتبت عليه مفسدة أكبر، وذلك قائم علىٰ الموازنة بين المصالح والمفاسد حسب الحال ولم يقيد بزمن أو مده، أي أنه ما قال أحد من العلماء بتعطيل الإنكار لمدة معينة خمسة سنوات أو عشر سنوات أو قرن من الزمان لجمع الأمة علىٰ الإلفة والمحبة أولًا!

ولا أدري هل نعتقد أن الإنكار من أسباب الخلاف والنزاع، وأنه إذا تجنبناه يأتي الائتلاف والاجتماع، وبذلك نستنزل نصرة الله ومعية الله كما نقول في التبليغ؟

وكل هذا إذا أحسنا الظن وقلنا إن تعطيل الإنكار في دعوة التبليغ لمدة محددة أو بعد الوصول لمرحلة معينة أو لمدىٰ ومستوىٰ معين من الاجتماع في الأمة وبعدها يعاد النظر في المناهج والوسائل والأهداف، ولكن الأمر غير ذلك.

والواقع أننا في التبليغ ذهبنا أبعد من ذلك حيث نقول: إننا لا ننكر

مطلقًا، ولم نتقيد بضابط شرعي أو زمني معين، ويتأكد ذلك إذا عرفنا أن منهج التبليغ غير قابل للتغيير أو التبديل كما صرح بذلك المشايخ مرارًا وذلك بتأكيدهم [أن هذا الترتيب كافٍ جدًّا لتغيير حياة الأمة].

أي: لا مجال للتغيير والتبديل والإصلاح، وتبريرًا لذلك يردد الأحباب كلامًا لأحد المشايخ معناه [إن الباطل والمنكر مثل الظلام، وأن الحق مثل النور، فإذا جاء النور يذهب الظلام، فلا حاجة للإنكار].

وهذا فهم خاطئ وخطير؛ لأن الأمر بالمعروف هو أمر الله، فكذلك النهي عن المنكر هو أمر الله أيضًا، والنهي عن المنكر أيضًا من الحق والنور الذي يذهب الظلام، وهو أيضًا تشريع من الله، والله لا يشرع شيء إلا من أجل حكمة ومصلحة، ولسنا أعلم بالحكمة والمصلحة حتىٰ نقدم ونؤخر ونستحسن ونقبح من غير دليل.

قال تعالىٰ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة:٧٨].

علمًا بأننا تركنا أكثر الحق وهو النور الذي يذهب الظلام كما نقول، لا نتعلمه ولا نبينه، ولا ندعو إليه خشية من أن ينفض وينفر منا البعض من الناس، فكيف يذهب الظلام إذا كنا لا نفعل الأمرين؟

وفي كل ذلك لابد من مراجعة العلماء حتىٰ لا نخوض في دين الله بغير علم، ولا عذر لنا في ذلك، فهذا من الأمور الواجب معرفتها خاصة لمن يتصدىٰ للدعوة إلىٰ دين الله.

ويجب أن نفهم شيئًا مهمًّا: وهو أن مشايخ التبليغ ليسوا مؤهلون للإجابة عن الكثير من الأمور الشرعية فضلًا أن يكونوا من أهل الفتوىٰ.

وأعرف أن هذا الكلام يغضب الكثيرين في التبليغ، ولكن هذه هي الحقيقة التي يجب أن نتعود علىٰ سماعها، وهذا ليس من باب الإساءة والتنقيص والمشايخ أنفسهم يعرفون ذلك؛ لأن التصدي للفتوىٰ واستنباط الأحكام له شروط عديدة ومستوىٰ معين من التأهيل لا يتوفر فيهم، ولم يدعي أي منهم -فيما أعلم- شيئًا من ذلك، لكن الخلل فينا نحن الأتباع، حيث اعتقدنا فيهم ذلك وأكثر منه، وأصبحنا نصفهم بعبارات ونعوت لا ضابط لها.

مثل قولنا: إن الله فاتح عليهم بسبب جهدهم للدين، وإن الله أورثهم الحكمة والفهم للقرآن، وإن الله اصطفاهم واختارهم لهذا العمل عندما تقاعس الآخرون... وكلامًا كثيرًا من هذا القبيل.

وفي نفس الوقت نشكك ونطعن في العلماء بوسائل وأساليب شتىٰ معروفة لكل القدماء سوف أذكر بعضًا منها لاحقًا.

وهذا هو نفس الطريق الذي أوقع كثيرًا من الصوفية في أوضاع شاذة، لفرط حبهم لمشايخهم، دون التقيد بضوابط الشرع،حيث انتهوا إلىٰ تقسيم العلماء إلىٰ عالم بالشريعة وعالم بالحقيقة وعالم بالظاهر وعالم بالباطن، وأن علماء الشريعة هم علماء قشور ونحو ذلك.

وكل ذلك للتحرر من الالتزام بالشرع والرجوع للعلماء الذين أمرنا بالرجوع إليهم لتفسير وبيان ما خفي علينا من الدين.

وسمعت أحد القدماء بالمدينة النبوية يردد نفس هذه الأفكار، وكان ذلك بحضور عدد من القدماء وذلك عندما بينت له فتوىٰ أحد العلماء في بعض الأمور الشرعية التي كنا نتحدث عنها فقال لي: (هذا عالم شريعة) ولم يستنكر أي من الحاضرين هذا الكلام، ولا أقول إن جميعهم يعتقدون ذلك أو يؤيدونه فيما قال، ولكن يتبين منه التآلف والتعود علىٰ سماع مثل تلك الأفكار والمعتقدات وهذا هو مكمن الخطورة وبداية المرض.

كلامنا في الدعوة قاصر على بيان توحيد الربوبية:

وحتىٰ كلامنا علىٰ كلمة التوحيد(لا إله إلا الله محمد رسول الله) قاصر فقط علىٰ توحيد الربوبية، وهو أن الله خالق ورازق ومتصرف وبيده كل شيء، وأكثر كلامنا بعد ذلك هو عن زيادة الإيمان وجمع الأمة علىٰ الألفة والمحبة كما نقول، وكل أصول التبليغ لتحقيق هذه الغاية، ومنها: لا نتكلم في الخلافيان ولا في السياسيات، ولا نتكلم في المسائل الفقهية، ولا في أمراض الأمة والجماعات الأخرىٰ، ونتفادىٰ تبيين بعض الأحاديث والمصطلحات الواردة في السنة لذات السبب، وهو أن البعض لا يحب سماعها وقد ينفر منا.

وأنا طيلة فترة وجودي في التبليغ زهاء خمسة عشر عامًا ما سمعت واحدًا من المشايخ أو القدماء ذكر هذا الحديث في كلامه أو في بيانه «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»[1].

رغم أن كثيرًا من العلماء والأئمة الأعلام اعتبروه من قواعد الإسلام،

(١) رواه البخاري ٢٠٥٠، ومسلم رقم ١٧١٨، وفي رواية: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد».

ووجهوا بحفظه وتعلمه والعمل به، وتعلم الاستدلال به

ولنا أن نسأل: هل نعتبر بيان هذا النوع من الحق ينافي الحكمة واللين؟

أم هو من التشدد الذي نصف به الآخرين؟

والكثير من القدماء وأنا منهم كنا نبرر هذا المسلك ونقول: إن النبي ﷺ كان يفعل أحيانًا خلاف الأولىٰ تأليفًا للقلوب، ونضرب لذلك أمثلة نذكر منها أنه في صلح الحديبية عندما يظهر له الموفد من قبل قريش كان يظهر له بالمظهر الذي يحب لاستمالته وكسب وده، وكذلك لم يدخل حجر إسماعيل في الكعبة لأن قريشًا كانوا حديثي عهد بالإسلام، كما ذكر ذلك ﷺ للسيدة عائشة، ولا ندري هل هناك وجه للاستدلال بهذا أم لا؟

لأننا ما تعودنا الرجوع للعلماء في هذه المسائل، لاعتقادنا الخاطئ بعدم صلاحيتهم لذلك، وأننا نجحنا فيما فشلوا هم فيه، وأننا الأقدر والأعرف بأمور الدعوة وأحوال الناس، وتوهمنا ذلك لمجرد اجتماع هذا العدد الكبير من الناس حول التبليغ، وكون التبليغ مقبولًا لدىٰ أغلب الناس ولا أحد يعترض عليه، واعتبرنا أن ذلك هو قمة النجاح، وفي نفس الوقت نعيب علىٰ الآخرين أنهم قاموا بوصف المرض ولم يقوموا بتقديم العلاج، بينما التبليغ يقدم العلاج!

وحقيقة هذا هو الإحساس والشعور الداخلي لكل المنتمين للتبليغ عامتهم وخاصتهم، وإن لم يظهروه علانية ويتحدثوا به.

وحقيقة فإن ذلك لا يعد نجاحًا وإنجازًا نعتز به، بل هو أقرب للقصور

والفشل؛ لأن ذلك ناتج من أننا حاولنا إرضاء كل الناس وتنازلنا عن كل ما يغضب المدعوين ولا ينال رضاهم، بل وذهبنا أبعد من ذلك وهو أننا امتنعنا عن بيان الحق في أغلب الأحيان لذات السبب، وهذا هو أهم الأسباب في رضا أغلب الناس عن التبليغ واجتماعهم حوله، وسوف أبين ذلك لاحقًا.

ولو كان مجرد اجتماع الناس مقصدًا مطلوبًا في حد ذاته ما كان النبي ﷺ وأصحابه عانوا ما عانوا من العذاب والتشريد، ولما رضي أنبياء الله نوح وصالح وغيرهم بهذا العدد القليل من الأتباع.

وقد بين النبي ﷺ ذلك حيث قال: «**عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد**».

ورغم ذلك فإن الله ﷻ مدحهم ورضي عنهم.

النهج المنظم لإبعاد الأحباب عن العلم والتعلم، ومحاولة ربطهم بالمشايخ وزيادة تعلقهم بهم في كل ما يتعلق بالفهم والممارسة للدين:

ومن مظاهر ذلك أن الكثير من القدماء الآن يوجهون الجدد بقولهم: في مسائل الدعوة نسأل علماء الدعوة، وفي المسائل الفقهية الأخرىٰ نسأل العلماء!

يريدون أن يفهموهم أن هناك طائفتان من العلماء: علماء للدعوة وهم مشايخ التبليغ، والعلماء الآخرين لبقية فروع الدين.

ولا أدري هل نعتقد أن علماء الأمة لا يعلمون فقه الدعوة وفقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أمر الله به؟

أم أن مشايخ التبليغ علمهم بذلك أكثر وأعمق بسبب جهدهم وتضحياتهم، وممارستهم للدعوة وتفرغهم لها؟ وأن الله بسبب ذلك أورثهم الفهم والحكمة وفهم القران، كما يردد ذلك الكثير من الأحباب!

والهدف من كل ذلك هو أننا نريد أن نبعد الأحباب عن العلم والعلماء، وهو ما تم تحقيقه فعلًا وبنجاح تام، وما نقوله ونذكره في الصفات الست حول العلم والتعلم نقوله علىٰ سبيل التزيين وتجنب انتقاد الآخرين دون حرص وجدية علىٰ تطبيقه والعمل به، وهو قولنا في بيان الصفة الثالثة: (تعلم الفضائل من رياض الصالحين، وتعلم المسائل من العلماء).

لأنه وحسب المزاج العام في التبليغ لا يجب سؤال كل العلماء، ولا السؤال عن كل المسائل في الدين، بل في بعض فروع العبادات فقط.

وحتىٰ هذا القدر المحدود ليس للأحباب وقت للقيام به، وعمليًّا انقطعت صلتنا بالعلم والعلماء وأصبحنا ننظر إليهم بعين الريبة والاحتقار، ونصفهم بنعوت وأوصاف غير مناسبة، أقلها أنهم جاء فيهم حب الدنيا، وقلَّ فيهم الورع، وبعدوا عن روح السنة في ملبسهم ومسكنهم ومعاملاتهم ومعاشراتهم، بسبب تركهم لجهد الأنبياء وهو الخروج للدعوة، وكل ذلك ساهم في إبعاد الأحباب عنهم معتقدين عدم صلاحيتهم لما نقوم به من أعمال في التبليغ.

وقرأت قبل سنوات رسالة للشيخ سعيد أحمد: وهو من كبار المشايخ ويحظىٰ باحترام كبير لدىٰ الأحباب من العرب لجهوده الكبيرة في نشر التبليغ

في الدول العربية، حتىٰ إن أحد القدماء قال لي إنه أعلم أهل الأرض اليوم، وكان ذلك قبل وفاته بمدة وجيزة.

يقول الشيخ سعيد في رسالته الموجهة للأحباب وكان يتكلم عن العلماء كلامًا معناه: أن يعتذروا للعلماء ولا يسمحوا لهم في التحدث والبيان في اجتماعاتنا؛ لأنهم لم ينصبغوا بصبغة الدعوة بعد، فإنهم لن يتورعوا عن الحديث في الأمور الخلافية، وأنهم اعتقدوا أنهم فرغوا من إصلاح أنفسهم وأنهم معنيون بإصلاح الآخرين، وأنهم قل فيهم الفهم وبعد النظر، وقد تفرغوا تمامًا لتأليف الرسائل والكتب ضد بعضهم البعض... وكلامًا كثيرًا في هذا المعنىٰ.

وتأكيدًا لهذا الفهم يردد الكثير من القدماء مقولة أحد المشايخ وهو يتكلم عن حقيقة الداعية وفيها يقول: الداعية ليس هو العالم الفقيه، ولا المحدث المفسر، ولا الأصولي الذي أتقن علم الأصول، ولا الخطيب البليغ الذي يهز المنابر، ولا صاحب الخلق الذي يجذب الناس بحسن تعامله، لكن الداعية حقيقة هو الذي امتلأ قلبه بهم وهمّة ومهمة جمع الخلق علىٰ الخالق، فأصل الدعوة هم يمتلئ به القلب فتستجيب له الأعضاء، فلا يمكن أبدًا أن يمتلئ القلب بهم وهمة ومهمة جمع الخلق علىٰ الخالق، ثم لا تستجيب له الأعضاء في الخدمة في هذا الميدان. انتهىٰ كلامه.

ولم يبين وسائل وأدوات اكتساب هذا الهم؟

وهل هناك أشياء ومعارف أخرىٰ غير العلوم الشرعية التي عددها في كلامه تؤدي إلىٰ اكتساب الهم الذي يملأ القلب كما قال؟

وهل الاشتغال بهذه العلوم ليس من الدعوة في شي؟

وهل جمع الخلق علىٰ الخالق يتم بغير العلوم الشرعية التي جاء بها الأنبياء، من عقائد وعبادات ومعاملات وهي موضوعات التخصصات التي ذكرها في كلامه من الفقه وأصول الفقه والعقيدة والحديث والتفسير؟

ولنا أن نتصور خطورة هذا الكلام عندما يرسخ في أذهان العوام من الناس وما يؤدي إليه من نتائج.

وهذا التوجه مفهوم ومعروف لكل القدماء، ولكن قد يخفىٰ علي بعضهم الهدف والغاية منه، وإذا ربطنا ذلك ببعض الأصول في التبليغ التي لا تسمح بدعوة كل المسلمين وتستثني السني السلفي وهو الملتزم بمنهج أهل السنة والجماعة ويطلق عليه (صاحب فكر).

إذا عرفنا ذلك، عندها سوف نعرف الغاية والهدف النهائي من كل ذلك، وهو محاربة هذا الفكر والتشكيك فيه وفي القائمين عليه، لأن ما عدا أصحاب الفكر من علماء وطلبة علم، يمكن دعوة عامتهم وسؤال علماؤهم لأننا متوافقون معهم دائمًا، أو لأنهم لا يهتمون بالسؤال عن الدليل وموافقة السنة من عدمها، وهذه الفئة من العلماء هي من نصفهم بالربانيين، ودائمًا نوجه الأحباب بالتقرب منهم والاستعانة بهم دون غيرهم، وسوف أبين ذلك لاحقًا.

وسمعت أكثر من واحد من أتباع الطرق الصوفية وفي مناسبات متعددة يذكر أن شيخهم يوجه بالخروج مع جماعة التبليغ؛ لأنه لا فرق بينهم أو لا خوف

عليهم من أهل التبليغ.

وقال لي أحدهم إن شيخه قال له: نحن وجماعة التبليغ زريبتنا واحدة.

والزريبة هي الشبك الذي يعد لحفظ الأغنام والمواشي، ويقصد من ذلك والله أعلم أن المورد واحد.

وأنا أذكر ذلك علىٰ سبيل المثال، لأبين الحالة التي نحن عليها الآن والعقلية التي تشكلت عندنا في التبليغ، وبسبب ذلك وقعنا في كثير من الفخاخ دون أن ندري أو نشعر، وهذا ليس بالأمر الهين الذي يمكن السكوت عليه أو تجاهله؛ لأن السير في مسار منحرف ولو قليلًا يوصل لنتائج سيئة في النهاية، وقد تكون ضخمة في الحجم، بحسب زاوية الميل عن الصراط المستقيم، وطول المسار.

وبين لنا ربنا في القرآن العظيم تجارب الأمم السابقة، وطريقة عمل الشيطان معهم وتدرجه بهم، إلىٰ أن رجعوا لدين أجدادهم، وعبدوا الأصنام، وذلك لم يكن دفعة واحدة، بل يرضىٰ بالقليل أولًا ويتدرج بهم شيئًا فشيئًا حتىٰ يوقعهم في الطوام.

ثناء البعض على التبليغ ليس دليلاً على صحة المنهج:

ولا نغتر بثناء البعض علينا، ومدحه لنا، ورضاه عنا، لأن الكثيرين في داخل التبليغ وخارجه كانوا وما زالوا مخدوعين بالدعاوي والعناوين البراقة والتي وضعت بعناية تامة لتوحي بصحة المنهج دون النظر والتأمل في الهدف والغاية النهائية منها، لأن الميزان المعتبر دائمًا هو صحة المنهج والاستقامة

عليه، والصبر وتحمل الأذىٰ دونه، وليس معيارًا للنجاح جمع العدد الأكبر من الناس وتكثير الأتباع، كما أن قلتهم لا تعتبر معيارًا للفشل.

والله ﷻ يقول: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١١٦].

ويقول تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

مفهوم الأحباب للمرجعية:

لقد جربت مع الكثير من القدماء وليس الجدد، عندما أطرح هذا السؤال حول المرجعية، يتبادر إلىٰ أذهانهم شيء آخر وهي المرجعية في التبليغ للهند أم للباكستان، حسب الخلاف الذي حصل أخيرًا حول جماعة النفي والإثبات، علىٰ خلفية أن الذي تزعم هذا الترتيب هو الشيخ أرشد من الباكستان، ووافقه عليه أمير المركز الشيخ عبد الوهاب، وأصبح يعمل بمقتضاه في مركز باكستان، وعارضه وحاربه مشايخ الهند، وتسبب في انقسام كبير في كثير من مراكز العالم.

وليس هذا هو المقصود طبعًا، وإنما المقصود المرجعية العلمية في معرفة المطالب والمسائل المتعلقة بالدين، لأن في الأمة اليوم مرجعيات كثيرة في العقائد والمنهاج المتبعة لفهم الدين، وكل ذلك ناتج من سياسة التسطيح والتجهيل والتغريب المتعمدة لإبعاد الأحباب عن كثير من المعارف الضرورية في الدين.

والخطورة أننا لا نعد ذلك عيبًا ونقصًا، بل نعيب الآخرين لاهتمامهم بذلك؛ لأن ذلك بفهمنا يجر للكلام عن الخلافيات، ويشغل عن إصلاح النفس وتزكيتها، وزيادة الإيمان وقطع العلائق بالمخلوق كما يقول الكثير من القدماء.

وسمعت بعض الأحباب يتكلمون بإعجاب شديد عن أحد الأحباب لأنه ما عرف ولا سمع بأحد كبار الوزراء المسئولين في بلده، بفهم أنه منقطع عن أمور الدنيا متوجه للآخرة.

وأدىٰ كل ذلك إلىٰ انحرافات كثيرة، وانصراف أغلب الأحباب للحديث عن الكرامات، وتحري النصرات الغيبية، وإيراد قصص كثيرة في ذلك لا مجال لذكرها، لذلك يصدق علينا المثال الذي ذكره أمير المركز في الهند قاصدًا به جماعة النفي والإثبات حيث قال: (... إن الضفدع الذي ولد في بئر مظلمة، وظل يدور حول البئر وفرح بذلك ظنًّا منه أنه دار كل الدنيا، وذلك لأنه لم يخرج من البئر مطلقًا، ولم ير العالم خارجها).

وهذا يصدق علينا تمامًا في التبليغ، وليس المقصود في هذا المثال السفر والترحال من بلد إلىٰ بلد، بل المقصود قلة المعرفة والاطلاع والجهل بالكثير من الأمور الضرورية في الدين، وفي نفس الوقت نرىٰ العيب في الآخرين بسبب ارتباطهم بالعلماء والاطلاع علىٰ المستجدات ومحاولة معرفة الموقف السليم منها.

التوجيه والتأكيد على ألا ينقطع القدماء عن المشايخ أكثر من سنتين، والهدف منه:

ما أريد قوله وتأكيده هو أنه يوجد سلوك ومنهج محكم ومتعمد لإبعاد الأحباب عن العلم والعلماء، ومحاربة توجه معين والتشكيك فيه، ومحاولة قطع الطريق عليه، وسوف أبين مظاهر ذلك من خلال الهدايات والوظائف اليومية المطلوبة من الأحباب، وتعمد إشغالهم بأكبر قدر ممكن، وعدم ترك أي وقت لديهم للتفكير في أي شيء أو تحصيل أي معرفة، ومحاولة ربطهم بالمشايخ في كل شيء يتعلق بالفهم والممارسة للدين، وتم ترسيخ مفاهيم وعبارات خطيرة، قد لا يتنبه إليها الكثيرون ويعرفون الهدف والمغزىٰ منها، وأصبح يرغب فيها ويعمل بمقتضاها وهي أدوات لخدمة هذا الهدف، ومن هذه الأقوال:

(مزاج هذا العمل التسليم والطاعة).

(صنفان لا يستفيدان من هذا العمل: الناقد والقانع).

(لا تمشي في الدعوة بمزاجك، لابد أن تمشي بمزاج المشايخ).

(لا تغيب عن المشايخ أكثر من سنتين هذا خطر عليك).

وهذا أصبح راسخًا ومعمولًا به في كل المراكز في العالم، كل ما استعد أحد القدماء للخروج، ينظر في أمره ومتىٰ زار المشايخ لآخر مرة، وإذا كانت أكثر من سنتين يوجه بالخروج إلىٰ الهند! والمبرر واحد وثابت لا يتغير،

وهو: حتىٰ لا يمشي في الدعوة بمزاجه ولابد أن يمشي بمزاج المشايخ ويعرف العمل بالترتيب الصحيح.

ويحق لنا أن نسأل هنا:

هل للدعوة أو للعمل أسرار ورموز لا يعرفها إلا المشايخ في الهند، ويجهلها العلماء المنتشرون في كل العالم الإسلامي؟

أم أن الأمر يتعلق بترسيخ قيم الطاعة والانقياد للمشايخ؟

ومن يضمن أن مزاج المشايخ دائمًا متطابق مع السنة؟

وهل نربط الأحباب بالعلم والعلماء وتعلم السنة والدليل حتىٰ يمشوا في الدين علىٰ بصيرة من أمرهم، أم نزيد في تعلقهم وانقيادهم للمشايخ؟

وأذكر جيدًا عندما خرجت إلىٰ الهند كان الشيخ أحمد لات يقص علينا يوميًّا في البيان الرئيسي علىٰ المنبر قصته عندما طلب منه الشيخ إنعام الحسن وسأله: هل الشيخ عمر برنبوري موجود أم لا؟

وعندما ذهب وجد الشيخ عمر فعلًا موجود، وبدلًا من أن يرجع ويخبر الشيخ إنعام بأنه موجود، فضل اختصارًا للوقت وقال للشيخ عمر: إن الشيخ إنعام يطلبك... وبين في نهاية القصة أن الشيخ إنعام غضب عليه، لأنه عمل أكثر من المطلوب منه.

هذا هو مغزىٰ القصة، الطاعة، أن تعمل المطلوب منك فقط دون اجتهاد أو نظر!

وأكثر المذاكرات والترغيب لتأكيد هذه الوجهة، وبمعانٍ وألفاظ مختلفة،

الترغيب لطاعة الأمير، والمشي حسب المشورة، وإيراد قصص وأحوال وأضرار حصلت لمن خالف الأمير أو المشورة.

والمقصود بالمشورة دائمًا هو الالتزام بالأصول والهدايات الموجهة من المشايخ، لأن أعمال التبليغ معلومة ومحددة لا مجال لمناقشتها أو التشاور حولها، بالزيادة أو الإنقاص، أو التعديل، فهذا لا مجال له.

إنما التشاور يكون حول أمور جزئية، مثل اختيار أمير للجماعة الخارجة، وكذلك خط سير الجماعة الخارجة، وحتىٰ هذا القدر يتم وفق الضوابط والمعايير الموضوعة من المشايخ، المسماة بالهدايات؛ لأنه قبل كل عمل لابد أن نتذاكر الهدايات الخاصة به في الجولات، والزيارات، والبيان، وغيرها من أعمال التبليغ، وحتىٰ كيفية إجراء المشورة وموضوعاتها محددة من قبل المشايخ لا يجوز الزيادة فيها أو إنقاصها.

وسمعت أحد القدماء في مذاكرة بالمدينة النبوية يحكي قصة أحد العلماء خرج مع الجماعة، وعندما كثرت منه الأسئلة والاعتراضات، قال له أمير الجماعة: إن منهجنا في تربية الجديد الذي يخرج معنا علىٰ طريقة المتدرب الجديد في الجيش، وعلىٰ طريقة موسىٰ مع الخضر.. وكلامًا في هذا المعنىٰ، والمقصود الطاعة، وعدم الاعتراض أو السؤال!

ولترسيخ هذه الوجهة بدأ الغمز واللمز والطعن في العلماء، ومحاولة إبعاد الأحباب منهم، بالتلميح وبأساليب مختلفه، ومن أمثلتها توجيه الأحباب ألا نسأل إلا العلماء الربانيين!

وأقدر اجتهاد بعض القدماء حينما ذكروا لي أن المقصود العالم العامل بعلمه نعم قد يقال هذا المعنىٰ، وقد يقال غيره، وقد يقال العالم الأكثر ورعًا، وكل هذه المعاني صحيحة، ولكن الذين يروجون لذلك داخل التبليغ لديهم أهداف ومقاصد مشبوهة، أسوة بأصحاب الطرق المنحرفة، وهي إبعاد الأحباب عن علماء السنة والدليل، وقد عبر كثير من القدماء عن مقصودهم من ذلك، أحيانًا صراحة، وأحيانا ضمنًا.

والهدف هو التشويش والتشكيك في المنهج الحق وفي القائمين عليه من العلماء والدعاة، وكل ذلك من التجهيل المتعمد والذي يعد المقدمة الأولىٰ لكل انحراف، لأن من الورع العمل بالعلم واتباع السنة والدليل ونبذ البدع والمحدثات وموالاة أهل الإيمان ومحبتهم، وذلك لا ينطبق إلا علىٰ الذين نذمهم ونحاول إبعاد الأحباب عنهم.

ولا نغتر بما عندنا، أو بما يقال عنا، وما حققنا من بعض النجاحات والنتائج الجزئية، ونقف عندها لا نريد أن نتخطاها ونستخدمها كسلاح للدفاع عن الخط الذي نسير عليه، وعندما يعترض أي واحد من الأحباب علىٰ بعض الممارسات غير الصحيحة، أو يسأل عن أي شيء تجد أغلب القدماء يغضبون لذلك، ويقولون أين كنا نحن قبل ذلك !

ولنا أن نسأل هل الذي انتفع بشي من الدين بسبب التبليغ يحبس بسبب ذلك، ويحرم من التطلع للأكمل والأفضل؟

وأنا لا أقول ذلك للتبخيس وتثبيط الهمم، ولكن لكي نعي ونفهم خطورة ذلك علينا وعلىٰ الذين ندعوهم لكي ينضموا إلينا.

ولأنه في التبليغ ليس لدينا شيء مكتوب حتىٰ نرجع إليه، لذلك سوف أذكر نزرًا يسيرًا من الأقوال والمذاكرات التي شكلت مجتمعة مزاجًا عامًّا وفهمًا مغلوطًا لدي الأحباب، ومنها:

بعض القدماء فهموا أن التبليغ يمثل المنهج الوسط بين التصوف والمنهج السلفي:

(أحد المشايخ السعوديين في مذاكرة بالمدينة النبوية حضرها جمع من الأحباب قال.. أهل الذكر زهدوا في العلم لأنهم وجدوه عند غير أهله، وأهل العلم زهدوا في الذكر، لأنهم وجدوه عند غير أهله..).

وطبعًا معروف من يقصد بأهل الذكر وأهل العلم، ويفهم من كلامه أنه يساوي الصوفية بالملتزمين بمنهج السلف في الفهم والاعتقاد والممارسة للدين، وأنهم قاموا بالعلم وهم ليسوا أهلًا له، أو أنهم حملوا العلم ولم يعملوا به[1].

ولنا أن نسأل هل نحن في التبليغ نقر الذكر الموجود لدىٰ الصوفية من حيث موضوعه ومشروعيته، قبل النظر إلىٰ القائمين عليه؟

مثل صلاة الفاتح، والصلاة النارية، والصلاة المشيشية، ودلائل الخيرات، وغيرها.

---

(١) جماعة التبليغ ترىٰ أن العمل بالعلم لا يكون إلا بالخروج في الدعوة علىٰ طريقتهم. (د/ عبد الله الجربوع).

ومفهوم الكلام: أن جماعة التبليغ لها منهج مغاير، أي هم أهل الذكر والعلم الصحيح، ويفهم منه أيضًا أننا في التبليغ مخالفون للفريقين في أصولنا ومصادرنا، أو أننا نمثل المنهج الوسط!

وكل ذلك غير صحيح، حيث إنه ليس لدينا فقه خاص بنا نتميز به عن غيرنا، ولم نفصح عن مرجعيتنا في العقائد وغيرها.

أما مجرد الادعاء بأن عملنا قائم علىٰ الكتاب والسنة، فهذا لا يكفي لتحديد هويتنا وتميزنا علىٰ أهل العلم وأهل الذكر بالفهم الذي أورده، لأن الكل يقول ويدعي أن عمله موافق للكتاب والسنة، حتىٰ الصوفية أرباب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود أمثال ابن عربي والجيلي يدعون ذلك.

والواقع أننا في التبليغ ليس لنا خلاف مع أهل الذكر لا من حيث موضوع الذكر، ولا من حيث مشروعيته، ولا من حيث أهلية القائمين عليه، وسوف يتبين ذلك لاحقًا عند مناقشة مذكرة الشيخ إنعام الحسن.

وتبقَّىٰ أن نبين رأينا في الفئة الأخرىٰ وهم أهل العلم، وهم كما نقول: ليسوا أهله وحملوه ولم يعملوا به.

ولكي تتضح الصورة علينا أن نجيب علىٰ هذا السؤال بكل وضوح:

ما هي الشروط التي تؤهل لطلب العلم أو للاستفادة منه؟

أو: ما هو الشرط الذي تخلف عند الذين نقول أنهم قاموا بالعلم وهم ليسوا أهله؟

هل يتمثل ذلك في عدم أهليتهم للقيام بذلك؟ أم يتعلق بموضوع العلم

نفسه موضوعاته وأهدافه؟

وهل الخروج في التبليغ لازم للاستفادة من العلم؟

وإذا كان ذلك صحيحًا، كيف استفاد أهل القرون الفاضلة من العلم ولم تكن جماعة التبليغ قد وجدت بعد؟

قد يقول قائل: إن التبليغ هو الدعوة، وأن الدعوة كانت قائمة في العصور الفاضلة لذلك هم استفادوا من العلم، وهذا غير صحيح؛ لأن عملنا في التبليغ غير موافق لعمل النبيﷺ وصحابته من بعد، لا في وسائل الدعوة ولا في موضوع الدعوة.

ولم يثبت أن النبيﷺ وهو جالس بمسجده كان يقسم الجماعات عشرة أشخاص في كل جماعة، ويعين لها أميرًا، وتخرج في أحياء المدينة وفي القرىٰ القريبة منها، في قباء والجرف وغيرها لثلاثة أيام أو أربعين يومًا، وتخرج من مسجد إلىٰ مسجد، وتنحصر الدعوة فقط في المسلمين، وأن تتحدث فقط في عظمة الله وفناء الدنيا وبقاء الآخرة، وتتجنب الدعوة إلىٰ إفراد الله بالعبادة وتتجنب الكلام في البدع ومحدثات الأمور وتتجنب الإنكار وأن تقوم بإقرار الجميع علىٰ ما هم عليه من عقائد وعبادات.

هذا لم يكن موجودًا لا في عهد النبيﷺ، ولا عمل به صحابته من بعده والقرون التي تلتهم.

تعمد إشغال الأحباب في كل وقتهم وتجهيلهم ليسهل انقيادهم للمشايخ:

إن الأحباب اليوم يجهلون كثيرًا من أمور دينهم، في العقائد والعبادات، والكثير من الأحباب يعترفون بذلك ولكنهم يلقون باللوم علىٰ الأحباب أنفسهم، وأنهم تقاعسوا عن طلب العلم، والأمر ليس كذلك، إذ إن المشايخ القائمين علىٰ هذا الأمر مسئولون عن ذلك، حيث إنهم عمدوا إلىٰ وضع حواجز حديدية بين الأحباب والعلم والتعلم، وذلك بتعمد إشغال الأحباب بأكبر قدر ممكن، وعدم ترك أي وقت لديهم حتىٰ يتعلموا ما يصحح اعتقادهم وعبادتهم، وسوف أبين مظاهر وآثار ذلك فيما يأتي:

إلزامية الأعمال الخمسة وأثرها على الأحباب:

الأعمال الخمسة المطلوبة من الأحباب يوميًّا، إضافة إلىٰ الخروج السنوي أربعة أشهر، وأربعين يومًا، وحضور المشورة الأسبوعية، والاعتكاف الأسبوعي، والجولة المقامية، والجولة الانتقالية.

وهذه الأعمال أصبحت لها عصمة وحصانة لايجوز مناقشتها أو التعديل فيها، وهي لا تترك لأي شخص وقتًا للتعلم، إذا أضفنا إليها الوقت الممنوح لأعباء البيت والعمل.

والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف نترك الواجب علينا وهو تعلم ما يصحح اعتقادنا وعبادتنا، ونلزم الأحباب بأشياء ليست واجبة ولا مستحبة في

حقهم؟ وهي أن يفرغ ثمانية ساعات يوميًّا لزيارة المسلمين، وأقل القليل ساعتين ونصف، وأن تكون هناك جولتان في الأسبوع: جولة مقامية، وجولة انتقالية، وهي أيضًا زيارات، واحدة في حارتنا والأخرىٰ في حارة أخرىٰ بعيدة، ومشورة يومية، وخروج شهري ثلاثة أيام، ومشورة أسبوعية، إضافةً إلىٰ الخروج السنوي أربعة أشهر وأربعين يومًا.

وهذه الأعمال ملزمة، ويجب العمل بها في الأوقات المحددة لها، ولا أقصد أنها مفروضة بالقوة، ولكن لا يحق لأي أحد في جميع المراكز المنتشرة حول العالم تعديلها أو مناقشتها، بل يجب العمل بها، والترغيب دائمًا أن نقدم الدعوة علىٰ أي شيء، حتىٰ أصبحت قاعدة متعارف عليها بين الأحباب، دائمًا قدم الدعوة علىٰ أي شيء، والمقصود بها الخروج والجولات، وذلك بالترغيب وإيراد قصص مؤثرة، وإحصائيات لمن يموتون يوميًّا في العالم من غير لا إله إلا الله.

علمًا بأن دعوتنا قاصرة فقط علىٰ المسلمين، وتتركز دعوتنا علي المسلمين حتىٰ يخرجوا هم أيضًا، حتىٰ يصلحوا أنفسهم ويدعوا الآخرين لإصلاح أنفسهم كما نقول، والادعاء بأن التبليغ مثل المستشفىٰ، وأنه بقدر مكوثك فيه يتم الشفاء !

هذا الادعاء غير صحيح، بل العكس من ذلك هو الصحيح، فكثيرون فسدت عقائدهم وأفكارهم بسبب وجودهم في التبليغ، وسوف أبين ذلك لاحقًا.

لأن تجميع المرضىٰ مع الأصحاء من غير عمل الاحتياطات اللازمة،

ومن غير تقديم العلاج المناسب يؤدي دائمًا إلىٰ نتائج سيئة.

وبسبب هذا الشحن والتوجيه المنظم أصبح كثير من الأحباب يغضبون لمجرد إثارة مسألة طلب العلم الشرعي، ويقولون: إن كثيرًا من المسلمين اليوم محتاجون لمن يعلمهم فاتحة الكتاب حتىٰ تحسن صلاتهم، وأنتم تتحدثون عن العلم.

علمًا بأن كثيرًا من المسلمين أيضًا محتاجون لتصحيح عقائدهم وعباداتهم، وتعليمهم وتوجيههم إلىٰ المنهج الحق، ونحن لا نعتني بذلك أبدًا، بل ولا نعده نقصًا وعيبًا يقلقنا ونهتم به وننوي معالجته في المستقبل، وذلك بتغيير طرقنا ووسائلنا وأهدافنا.

وهذا لم يعد واردًا حيث إن المشايخ حسموا هذا الأمر، وذلك بتأكيدهم مرارًا أن هذا الترتيب كافٍ جدًّا لتغيير حياة الأمة مما يعني أنه ليست هناك إمكانية للمراجعة والتصحيح.

وحتىٰ بالنسبة لفاتحة الكتاب وتصحيح التلاوة فنحن لسنا أحسن حالًا من بقية المسلمين حتىٰ نعلمهم، فنحن مثلهم أو قريبًا منهم.

وأذكر في مرة من المرات ناداني اثنان من القدماء أحدهم خرج لمدة سنة والآخر لمدة أربعين يومًا لأكثر من مرة، ومعهم مجموعة من الأحباب بنفس المنزل، وبيدهم مصحف وقالوا لي: إن هذا المصحف به خطأ! وعندما ذهبت إليهم، وجدتهم لم يستطيعوا أن يقرءوا الآية بشكل صحيح فظنوها خطأ!

والكل في التبليغ يعرف ذلك ولكنهم دائمًا يلقون باللوم علىٰ الأحباب وليس علىٰ المنهج، وكأن الطرق والوسائل الموضوعة من المشايخ لها عصمة وحصانة تمنع مناقشتها والتعديل فيها حسب حال ومستوىٰ الأحباب، علمًا بأننا لا نجد أي أثر لذلك في الأعمال الخمسة والوظائف اليومية المطلوبة من الأحباب، والتي تأخذ كل وقت الأحباب.

ولا أدري هل عدم أهمية العلم منعت من تضمينه الأعمال الخمسة؟

أو لأهميته تركناه حسب اختيار ومزاج الأحباب؟

وإذا كان ذلك صحيحًا، لماذا لا نترك الأعمال الخمسة أو بعضها لاختيار الأحباب كما نتعامل مع مسألة العلم والتعلم؟

والاحتجاج بما ورد في الصفة الثالثة وما يردد أحبابنا في بعض بيانات المشايخ علىٰ المنابر حول أهمية طلب العلم هي لتحسين صورة التبليغ أمام المعترضين ومحاولة للتخدير، ونحن نعلم تمامًا أن ذلك غير ممكن، ولا وقت للأحباب للقيام به.

البعض من الأحباب بدأ يبرر ويدافع عن هذا التوجه بأنه إذا تعلم الإنسان كل يوم مسألة واحدة سوف يصبح عالمًا في خلال عام، وهذا كلام نظري، وليس من طرق تحصيل العلم، إضافة إلىٰ كونه يعد إقرارًا بأن طلب العلم في ذيل اهتماماتنا.

وحتىٰ لو سلمنا بكل بذلك، وسلمنا بتقصير الأحباب، ما هو الحل الذي فكرنا فيه لمواجهة هذا الوضع ومعالجته؟ لأن الثابت الآن هو تفشي

الجهل وسط الأحباب في كل ضروريات الدين، وهذا لا ينازع فيه أحد.

إذن ما الذي يمنع من تغيير وسائلنا وطرقنا لمعالجة هذا الوضع الخطير والذي يعد المدخل والباب الذي يدخل منه كل شر؟

وما هي العصمة والحصانة التي تمنع مناقشة الأعمال الخمسة، إذا ثبتت عدم صلاحيتها أو إذا ثبت وجود خلل كبير ومؤثر كالذي نتحدث عنه؟

إلزام كل من تخرج من مدرسة دينية بالخروج لمدة سنة:

وما يؤكد العمل علىٰ تعمد إبعاد الأحباب عن العلم والتعلم أصبح لزامًا علىٰ كل من تخرج من مدرسة دينية (ويطلق عليهم العلماء في الهند والبنقلاديش والباكستان) الخروج لمدة سنة، والهدف الذي لا شك فيه هو إخراج مزاج العلم والتعلم من هؤلاء الطلبة، وترويضهم علىٰ أعمال التبليغ والمبرر الذي يسوقه المشايخ، وأصبح من المسلمات لدىٰ الأحباب لا تقبل النقاش هو أن العالم ملزم بالخروج لمدة سنة حتىٰ يخرج منه الكبر!

ونحن نسأل ما هو سند ذلك، ومن قال ذلك من الصحابة أو السلف أو من يعتد بهم في كل العصور؟

وهل هناك سنة بذلك من النبي ﷺ؟

ولم يزل الصحابة ومن بعدهم يتعلمون العلم وفيهم علماء منذ عهد النبي ﷺ، ما قيل لواحد منهم اخرج سنة، أو اعتكف لأي مدة أو صم لمدة كذا حتىٰ يخرج منك الكبر!

بل العكس من ذلك هو الصحيح، وهو أنه كلما ازداد الإنسان علمًا ازداد تواضعًا، هذا هو الأصل.

أحد القدماء وهو من قادة العمل المحليين، قال لي: إن هذا الترتيب صحيح لأن العلم وحده لا يربي!

وإذا عرفنا مفهوم ومعنىٰ التربية في التبليغ سهل علينا معرفة الغاية والهدف من ذلك، والتربية معناها الانقياد والطاعة والتسليم والالتزام بالأصول والهدايات، وفعلًا تم تحقيق الغاية والهدف من ذلك، إذ أصبح جميعهم مشغولون بأعمال ووظائف التبليغ المكثفة، إضافة إلىٰ استغلالهم كمترجمين وأمراء جماعات، وهذه أصبحت وظيفة ثابتة لهم.

ولا نغتر بالألقاب التي تطلق عليهم؛ فعند أهل الهند والبنقلاديش كل من تعلم العربية فهو عالم، والحقيقة أن روح التعلم والبحث والاطلاع وحفظ السنة وشروحات العلماء قد صرفوا عنها تمامًا، وهذا يصدق علىٰ الكثير من طلبة العلم من العرب الذين التحقوا بالتبليغ، خرج منهم مزاج التعلم والبحث والاطلاع.

وأعرف أحد القدماء في مركز قطر وكان من طلاب العلم وأنا أعرفه منذ مدة طويلة، وهو كغيره ممن استغرقتهم أعمال ووظائف التبليغ، أصبح الآن يحتفظ بمجموعة من الدفاتر والكراسات مشحونة بأقوال مشايخ التبليغ الشيخ فلان قال..الشيخ فلان قال.. أصبح مرجع في معرفة أقوال المشايخ، وهذه درجة كبيرة عندنا في التبليغ، بقدر ما تحفظ من أقوال ومذاكرات المشايخ وتبينها يقال عنك: هذا جاء فيه مزاج العمل، وفهم العمل علىٰ

أصوله، وبالترتيب الصحيح، وأصبح من المربين.

وعند قدومه للحج هذا العام دار بيني وبينه حوار حول هذه المسائل التي تقدم ذكرها، وعندما ذكرت له أن الأحباب ليس لديهم وقت لتعلم ما يصحح اعتقادهم وعبادتهم، استنكر ذلك جدًّا وقال لي: إن الأصول الثلاثة لم تكن علىٰ عهد النبيﷺ، وأن الصحابة تعلموا الإيمان في الميدان[١].

علمًا بأن كلمة الميدان هذه ليست من لغة طلبة العلم، وهي عندنا في التبليغ تعني الخروج، ويعلم الله أنني في كلامي لم أذكر له الأصول الثلاثة ولا غيرها، ولكن ذلك يؤكد روح العداء لتوجه ومنهج معين، والزهد في التعلم والاطلاع؛ فهو إما أنه لم يقرأ الأصول الثلاثة وهذا هو الراجح، ولا أشك في أنه يعرف معنىٰ الدليل، وسوف أذكر الأصول الثلاثة دون أي تعليق وأنا في انتظار رده.

والأصول الثلاثة هي استنباط من الكتاب والسنة لما يجب أن يعرفه ويتعلمه المسلم مدعومة بالأدلة من القرآن، وهي معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام مع لزوم العمل بها والدعوة إليها والصبر علىٰ الأذىٰ فيها، فهل هذا الكلام يحتاج إلىٰ زيادة إيضاح أو تأصيل !

---

(١) هذا من جهل جماعة التبليغ بحقيقة دعوة الرسولﷺ والجهل بأساليب العلم الشرعي، ويكفي في رد زعمه أن الأصول الثلاثة ليست علىٰ عهدهﷺ حديث سؤال القبر، حيث يسأل الميت: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وهذه الأسئلة هي خلاصة دين الإسلام وترجع إليها كل شعب الإيمان. (د/ عبد الله).

مدى صحة مقولة: إن الصحابة تعلموا الإيمان في الميدان:

أما قوله: إن الصحابة تعلموا الإيمان في الميدان. والميدان يعني بها الخروج، فهذا كلام مشايخ التبليغ، وما قال أحد من العلماء السابقين أو المعاصرين مثل هذا القول، حتىٰ المؤيدين للتبليغ لم يقل أحد منهم مثل هذا الكلام، وهو كلام غير صحيح، والمقصد من ترويج هذا المفهوم هو التزهيد في العلم والتعلم، لأن غاية المسلم في هذه الدنيا كما نقول في التبليغ: هو تحصيل الصفات الإيمانية، والخروج هو الميدان المجرب والطريق الأمثل لذلك وليس طلب العلم.

وكثيرًا ما يكرر المشايخ والقدماء في مذاكراتهم أن العلم يدلنا فقط علىٰ الأوامر، والإيمان يقيمنا علىٰ الأوامر، علمًا أن هذا المعنىٰ صحيح ولكنا نسيء فهمه واستخدامه، ويستدلون بهذه المقولة المنسوبة للصحابة لتأييد ذلك وهي قولهم: تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن. بمعنىٰ أن الخروج هو أقصر الطرق لتعلم الإيمان.

وحول هذا المعنىٰ سمعت بعض القدماء يرددون بإعجاب كلامًا لأحد المشايخ معناه: أن الذي معه كأسًا واحدًا من الماء ويشربه أفضل من الذي يغرق في عرض البحر ويموت من العطش.

ومقصوده والله أعلم أن الذي معه قليل من العلم وينتفع به بسبب تحصيل الصفات الإيمانية أفضل من الذي يتحصل العلم ولم ينتفع به لعدم

تحصيل الصفات الإيمانية[١].

ولنا أن نسأل ما الذي جعل هذا يكتفي بكاسة واحدة؟

ولماذا عجز عن المزيد أو الوصول إلىٰ طرف البحر دون عرضه؟

وهل يعد هذا عيبًا ونقصًا وعجزًا فيه أم لا؟

وما الذي جعل هذا الذي وصل عرض البحر يموت من العطش؟

وهل جهده في الوصول إلىٰ عرض البحر محمود ومشكور ومثاب عليه أم لا؟

والغرض من مثل هذه الأقوال والحكايات الساذجة هو التشكيك والتلبيس وخدمة الأهداف غير المعلنة لإبعاد الأحباب عن المنهج الحق والوسائل الموصلة إليه.

وقد بينت السنة أن جهد الإنسان لطلب العلم في ذاته فضيلة؛ قال النبي ﷺ: «**من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلىٰ الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض حتىٰ الحيتان في الماء، وفضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم**

(١) في هذا تعريض بالعلماء وطلاب العلم الشرعي، وأنهم يتعلمون العلم ولا يعملون به، لأن الأصل في طلب العلم أن يبتغىٰ به وجه الله، وأن الذين يتعلمونه إنما يتعلمونه ليعملون به، ومن زعم أن عامة طلاب العلم لا يعملون به وأنهم كالذي يغرق في البحر ويموت عطشًا فقد أساء الظن بإخوانه وصد عن العلم. (د/ عبد الله).

يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[١].

الصحابة لم يعرفوا الخروج بالكيفية التي نقوم بها نحن اليوم، وليس معنا دليل واحد بذلك:

وما نذكره من أن النبيﷺ أرسل القراء، وأرسل معاذًا إلىٰ اليمن لا دليل فيه ولا حجة، إذ إن معاذًا ﷺ كان عالمًا أرسله ليعلمهم، ويقضي بينهم ويأخذ منهم الصدقات، وكذلك القراء ليعلموا الذين أرسلوا إليهم.

أما الكيفية التي نقوم بها اليوم، وهي تعيين مركز للدعوة في كل المناطق بصفة دائمة، وتعيين أمير في كل مركز، وتعيين جماعة للذكر، وجماعة للفكر، وجماعة للخدمة، وندعي أن هذه الكيفية كانت في مسجد النبيﷺ، وتكوين الجماعة من عشرة أشخاص أو أكثر، ويخرجون من مسجد إلىٰ مسجد، ودعوة التبليغ منحصرة في المسلمين فقط.

ونحن نعرف أن ذلك ليس عليه دليل، ولكن الآن أصبح لدينا نوع من التمويه، لأنه عندما نأتي لعوام الناس نقول لهم هذا عمل النبيﷺ! وعندما يعترض علينا العلماء ويطلبون منا الدليل ويقولون أنتم جهلة نقول لهم: لا ليس لدينا دليل، نحن نخرج لكي نتعلم، ونجادل بأن أساليب ووسائل التعلم لا تحتاج إلىٰ دليل.

---

(١) رواه الترمذي عن أبي الدر داء (رياض الصالحين رقم ١٣٨٨).

هذه الأخبار من أوضح الأدلة علىٰ أهمية طلب العلم والسفر لتعلمه وتعليمه ولكن جماعة التبليغ تصرف الآثار التي تحث علىٰ طلب العلم والآثار التي في الجهاد إلىٰ ما يسمونه بالخروج الذي ابتدعوه. (د/ عبد الله).

وذلك هو وجه دفاع الشيخ أبو بكر الجزائري عن التبليغ، حيث قال كلامًا معناه: كما أنكم تقسمون الدراسة في الكليات والمعاهد سنتين وأربعة سنوات، فكذلك تقسيم المدد أربعين يومًا، أربعة أشهر، فهي من هذا القبيل للتعليم.

وهو من أشد المدافعين عن التبليغ، ولم يقل هو أو غيره إن في ذلك سنة عن النبيﷺ، أو خبر مأثور عن الصحابة.

الادعاء بأننا نخرج لكي نتعلم، ومصداقيته:

أما الاحتجاج بأننا نخرج لكي نتعلم، فهذا أيضًا غير صحيح؛ فنحن نخرج لكي نجمع الناس وندعوهم للانخراط في التبليغ حتىٰ يلتزموا به مثلنا، ومن أصولنا الثابتة ألا نتكلم في المسائل الفقهية، ولا في الخلافيات.

وحقيقة لا ندعوهم لشيء سوىٰ الانضمام والالتزام بالتبليغ مثلنا حيث إن منهجنا ضعيف جدًّا، أو ليس لدينا منهج أصلًا.

كل ما عندنا أننا في الخروج لمدة أربعة أشهر، أو أي مدة نقرأ فقط من كتاب رياض الصالحين من فضائل الأعمال، وبقية الوقت لتلقين الجديد الذي يخرج معنا أصول التبليغ، والجولات وخدمة المأكل والمشرب، ولا شيء غير ذلك، وليس للجماعة الخارجة الحق في تغيير أو تبديل هذه الأعمال في الخروج ولا في المقام حيث إن أعمال الخروج وفق الأصول المقررة في التبليغ تنحصر في:

١ - الدعوة إلىٰ الله.

٢ - التعليم والتعلم.

٣- العبادات والذكر.

٤ - الخدمة[١].

والدعوة مقسمة إلىٰ دعوة اجتماعية، ودعوة انفرادية.

وهناك آداب وضوابط ملزمة لا يجوز تخطيها للدعوة الاجتماعية والانفرادية وجميع الأعمال الأخرىٰ في التبليغ ومنها:

الالتزام بأن نتكلم فقط في عظمة الله، وأن الله خالق ورازق ومتصرف وبيده كل شيء وبعد ذلك نتكلم في فناء الدنيا وبقاء الآخرة، ونبرر ذلك بأن هذا الكلام مقبول لكل الأمة ولا أحد يعترض عليه.

ولا نتكلم في السياسيات ولا في الخلافيات، ولا في أمراض الأمة ولا في المسائل الفقهية، وحجتنا أن هذه تزيد الخلاف في الأمة ولا تؤدي إلىٰ جمع الأمة علىٰ الألفة والمحبة.

ونرغب دائمًا ونقول: إن تقديم العلاج هو الحل وليس وصف المرض فقط، والحل في إقامة الأمة علىٰ أعمال التبليغ، بمعنىٰ أن التبليغ يقدم العلاج

---

(١) هذه الأصول عظيمة لو طبقت علىٰ أصولها المقررة في دين الإسلام، ولكن جماعة التبليغ أخرجتها من مضمونها الشرعي وقصرتها علىٰ أمور محددة تميزت بها الجماعة كما أنهم جعلوا الكلام في مسائل الإيمان والتوحيد من المسائل الخلافية فاجتنبوا تعلمها واقتصروا علىٰ الكلام علىٰ توحيد الربوبية. (د/ عبد الله).

والآخرين اكتفوا بوصف المرض ولم يقدموا العلاج.

والتعليم من رياض الصالحين، ونقرأ من فضائل الأعمال فقط ولا نقرأ في أبواب المحرمات والمكروهات.

والخدمة المقصود منها خدمة الجماعة الخارجة معنا وخدمة أهل الحارة أو القرية الذين نزلنا بهم لتأليفهم.

والعبادات والذكر مقصود بها أداء السنن والنوافل وتلاوة القرآن والأذكار بشرط ألا تتعارض مع الأعمال الاجتماعية، لأن من الأصول المهمة جدًّا تقديم العمل الجماعي علىٰ العمل الانفرادي، والأذكار والنوافل وتلاوة القرآن كل هذه أعمال انفرادية، وعلينا تقديم الأعمال الاجتماعية دائمًا كالجولات والزيارات والمشورات والطعام، وعندما نرجع من الخروج نقوم بالأعمال الخمسة وفقًا لهذه الأصول والآداب، وقد سبق الكلام عنها.

قال أحد المشايخ: إن مخالفة الأصول في الخروج مثالها كنجاسة وقعت في قدر زيت مغلي تفسد كل القدر، أما مخالفتها في المقام فمثالها كنجاسة وقعت في قدر زيت بارد يمكن أن نطرح النجاسة ونستفيد من الباقي.

ونحن في الدول العربية أحسن حالًا من الأحباب في الهند وغيرها، حيث أنهم يقرءون من كتاب فضائل الأعمال (تبليغي نصاب) متذرعين بأنهم ليس لديهم ترجمة للكتب الجيدة، وهذا يؤكد ضعف العلم، إذ إنه بعد أكثر من قرن من الزمان لا يوجد شخص واحد في التبليغ مؤهل لترجمة كتاب رياض الصالحين أو غيره من الكتب، وإذا كانت الإجابة بغير ذلك أرجو بيان الحكمة والهدف من الامتناع.

تحديد المدد في التبليغ ليست مسألة اجتهادية ولا من قبيل الترتيب كما يزعم المشايخ:

تحديد المدد أربعين يومًا في السنة وثلاثة أيام في الشهر وتفرغ ساعتين ونصف في اليوم ليست مسألة اجتهادية، ولا من قبيل الترتيب كما يزعم المشايخ، بل مستندهم فيها يرجع إلىٰ اعتقاد وتوهم أدلة غير صحيحة منها الحديث الذي يروىٰ عن النبيﷺ عن أبي هريرة ﷺ أن النبيﷺ قال: «**إنكم في زمان من ترك فيه عشر ما أمر به هلك، ثم يأتي زمان من عمل فيه بعشر ما أمر به نجا**» سنن الترمذي رقم ٢٢٦٧.

وترتيبًا علىٰ ذلك فإن الأربعين يومًا تعادل عشر عدد أيام السنة (٣٦٠يوم)، والثلاثة أيام عشر عدد أيام الشهر(٣٠ يوم)، والتفرغ اليومي ساعتين ونصف عشر عدد ساعات اليوم (٢٤ساعة)، وكذلك الحال بالنسبة للخروج أربعة أشهر في العمر، وتم تحديدها موافقة للحديث الذي يحدد مراحل تكون الجنين في بطن الأم بأربعة أشهر(١٢٠ يومًا).

قال النبيﷺ: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح**» صحيح البخاري رقم ١١٧٤، وبما أن الأربعة أشهر تعادل ثلاثة أربعينات (١٢٠ يومًا) فهي تكفي لنضج وتأهيل الخارج في سبيل الله حتىٰ تنفخ فيه الروح للقيام بهذا العمل، يأتي فيه مزاج التبليغ كما يقول المشايخ.

العداء للدعوة السلفية ومحاولة تنفير الأحباب منها:

هذه الأعمال الخمسة هي كل ما لدينا في التبليغ، ونكرر دائمًا أن الاستقامة والمداومة عليها هي سبيلنا لإصلاح أنفسنا وإصلاح الأمة، وأن هذه هي الأعمال التي خرجت من جسد النبيﷺ! وهي الأعمال التي كانت في مسجده، وأنه بهذا الترتيب يأتي الدين في الأمة، ومنذ مدة وإلىٰ الآن لم أعرف المقصود والمعنىٰ بأن هذه الأعمال خرجت من جسد النبيﷺ.

وكثيرًا ما نردد أن التبليغ في هذا الزمان مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق[١].

وأعلىٰ مطالبنا من كل فرد يخرج معنا هو الالتزام بهذه الأعمال وفق أصول وآداب التبليغ مع الطاعة والتسليم والالتزام بالمشورة، والمقصود دائمًا من الالتزام بالمشورة هي الالتزام بالطاعة والالتزام بالهدايات التي تصدر من المشايخ من وقت لآخر تبين كيفية القيام بالأعمال والوظائف المطلوب القيام في الخروج وفي المقام.

فكل ما يتعلق بمنهج التبليغ والأعمال المطلوبة في الخروج والمقام هي مرتبة من المشايخ لا يجوز مناقشتها ولا التعديل فيها لا بالمشورة ولا بغيرها، بل يجب الالتزام بها.

أما القدر المسموح به في مشورات المراكز والمقامات حول العالم هو

---

(١) هذا من تحريفات جماعة التبليغ حيث نص أئمة السلف علىٰ أن السبيل والسنة هي طريق النجاة وهي سفينة نوح، ويقصد بالسبيل: توحيد الله تعالىٰ واتباع سنة النبيﷺ ومجانبة البدع. (د/ عبد الله).

حول أمور ثانوية في التطبيق وهي اختيار خط السير للجماعة الخارجة، وتعيين أمير الجماعة، وحتىٰ مثل هذه الأمور تتم وفق أصول وتوجيهات المشايخ [ما يسمىٰ بالهدايات]، وموضوعات المشورة واحدة لا تتغير في أي زمان أو أي مكان، وهي بهذا الترتيب أولًا مناقشة فكر العالم، والمقصود هو أن نتفكر في أبعد مكان حتىٰ نرسل إليه الجماعات.

وثانيًا فكر البلد: وهي الفكر لإرسال جماعات داخل البلد، وكذلك الحال بالنسبة للقرية أو الحي أو الحارة.

ورابعًا الفكر للمراكز: أي كيف نرسل القدماء للمراكز حتىٰ يأتي فيهم مزاج الدعوة تنفيذًا لتوجيهات المشايخ.

وأخيرًا أخذ أحوال المقامات، للتأكد من سلامة تطبيق الأعمال الخمسة.

هذا كل ما يدور في المشورات في جميع أنحاء العالم وبنفس الكيفية ونفس الترتيب، وحقيقة أصبح عملنا أشبه بالطريقة، نجتهد علىٰ الإنسان حتىٰ يخرج معنا، وبعد أن يخرج معنا نهتم أكثر ونفعل كل ما في وسعنا حتىٰ لا يترك التبليغ.

يلتزم ويبقىٰ في التبليغ بأي حال وبأي انتماء فهو مقبول ومرضي عنه باستثناء فكر معين وتوجه معين لا يسعنا الصبر عليه والتعايش معه، لذلك نحن نحاربه ونحذر منه، ولكن نستخدم لغة دبلوماسية هادئة لتحقيق هذه الغاية، وأكثر الهدايات وبعض الأصول هي لتحقيق هذه الغاية وعندما تأتي

في أي واحد من الأحباب الرغبة في العلم أو في أي باب من الأبواب الفاضلة في الدين يقال عنه: هذا عنده أحوال أو جاء فيه فكر(١).

وهي من المصطلحات المتعارف عليها الآن في التبليغ، وهي عبارات ذم وتجسيد للإرهاب الفكري، وإذا ربطنا ذلك ببعض الأصول يمكن أن نفهم الحكمة والغاية من كل ذلك.

ومن هذه الأصول التي تعلم للذي يخرج لأول مرة ويتم تكرارها حتىٰ يحفظها جيدًا وهي: لا ندعو صاحب فكر، ومعروف المقصود بصاحب الفكر.

والمفروض أن تكون الغاية والهدف من الخروج هي تحصيل هذا الفكر، وهو أن يصبح الناس علماء، وحفظة لكتاب الله، ويهتموا بالاجتماع علىٰ العقيدة الصحيحة المنجية وتعلمها من مصادرها بالدليل ودعوة الآخرين للانضمام إليها.

إلا إذا كنا نعتقد أن هذا الفكر غير صحيح أو ناقص ! أو أن الطريقة غير صحيحة ! فعلينا أن نبين ذلك حتىٰ يكون الجميع علىٰ بصيرة حتىٰ تتم المراجعة والتصحيح، ويتعاون الجميع لجمع الأمة علىٰ المنهج الحق.

وسمعت أحد أمراء الدعوة في إحدىٰ البلاد العربية، وكان يحكي في إحدىٰ المذاكرات عن أحد المشايخ الباكستانيين عندما خرج في بلادهم،

---

(١) هو وصف يرمزون به إلىٰ حملة العلم علىٰ منهج السلف الصالح واستخدامهم في وصف هؤلاء بأنهم أهل فكر قد يدل علىٰ أنهم يرون أنهم علىٰ غير هدىٰ من الله وإنما هم علىٰ منهج حصل من نتاج المفكرين. (د/ عبد الله).

وبين هذا الشيخ الباكستاني أن المذكورين في الآية والذين وصفهم الله بأنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين هم أهل الهند والباكستان، وأن الله اختارهم واستبدل بهم عندما تقاعس (العرب) عن القيام بوظيفة النبي ﷺ !

وهذا الفهم أصبح راسخًا وسط الأحباب، وهو أن العرب عندما تقاعسوا عن القيام بعمل النبي ﷺ فإن الله استبدل بهم أهل الهند والباكستان وهم قادة التبليغ اليوم.

أما فيما يتعلق بالصفة الأولى لا إله إلا الله محمد رسول الله، فنحن لم نتعلمها ولا نعلمها لا في الخروج، ولا في المقام، فنحن ندور حولها بعبارات عامة، ونبين الشق الغير مختلف فيه، وهو توحيد الربوبية، وقد ذكرت ذلك مفصلًا في خطابي للمشايخ (راجع الفقرة ٨ من خطابي للمشايخ مرفق صورة منه).

الخلل في منهج التبليغ أدى إلى انحراف الكثير من الأحباب:

وبسبب هذا الضعف في المنهج تفشى الجهل والعمل بالبدع بين الأحباب، وكثيرًا من الأحباب انحرفوا بسبب ذلك، وقد لا يتنبه لذلك الآن، وأعرف أحد الأحباب السعوديين اعتنق الطريقة التجانية، وأنا أعرفه تمامًا، وهو من قبيلة ومنطقه لا يعرف التصوف فيهم ولا في أسلافهم.

وكل ذلك بسبب الخلل في منهج التبليغ حيث إننا نهتم فقط بتجميع وتكثير العدد، خليط لا يجمع بينهم إلا الخروج.

قد يقول البعض إن ذلك راجع لهم هم وليس بسبب التبليغ، ولكن ذلك غير صحيح، حيث إننا في التبليغ وفرنا البيئة المناسبة لمثل هذه الانحرافات، حتىٰ إن الكثير من الأحباب ممن لم يلتزموا بالتصوف أصبحوا لا يرون بأسًا به.

الشيخ أحمد الأنصاري يعتقد أن كل الدعوات خلاف جماعة التبليغ غير صحيحة ولا تؤثر في الدعاة أنفسهم:

الرسالة المكتوبة من قبل الشيخ أحمد الأنصاري الأستاذ بالجامعة الإسلامية بلاهور لا جديد فيها، وهي شرح لطريقة عمل التبليغ من الدعوة الخصوصية والاجتماعية والجولات والتضحيات لنشر الدين.

ووجه العداء فيها: أنه يعتقد كغيره من قادة التبليغ خطأ الدعوات الشائعة اليوم، وأنها لا تؤثر في الدعاة أنفسهم، وذلك بدون استثناء.

وملخص الكلام: أن الدعوة القائمة اليوم بخلاف جماعة التبليغ خاطئة ولا تؤثر في الدعاة أنفسهم، ومعروف من يقصد بالدعوة القائمة اليوم!

ولم يبين نوع الخطأ: هل هو في المنهج، أم في الطريقة، أم فيهما معًا؟

ومعلوم أن الذي يعتقد خطأ جماعة أو منهج أو طريقة فهو معادٍ لها، والشيء الطبيعي أن يحذر منها ويعمل علىٰ إزالتها، لأنها تضر بالدين من وجهة نظره، حيث إنها لا تؤثر في الدعاة أنفسهم فكيف تؤثر في الآخرين كما قال، والكتاب من أوله إلىٰ آخره يؤكد ذلك، ومجموع كتابات وبيانات

المشايخ تدور حول هذا المعنىٰ، وفي نفس الوقت نمدح التصوف ووسائله كما سيأتي في كلام الشيخ إنعام الحسن حيث قال: [إنه يقر من التصوف ما يوافق الربانية التي عبر عنها القرآن بالتزكية والحديث بالإحسان] انتهىٰ كلامه.

وإذا تأملت في كل ذلك عرفت الحقيقة، والغاية التي نريد أن نصل إليها من خلال التبليغ.

كيف خدعنا المسلمين والعلماء الذين أيدونا؟

وحقيقة نحن إما أننا نخدع المسلمين وهذا هو الراجح، أو إننا واقعون في خطأ والتباس يجب تلافيه وتصحيحه، لأنه عندما قدمنا أنفسنا للعلماء السلفيين الذين أيدونا لم نقل ذلك: وهو أن منهجهم وطريقتهم خطأ، بل تظاهرنا بالمسكنة، وقلنا لهم إننا لسنا علماء، ونحن فقط من عوام الناس نمشي للناس في بيوتهم وفي الخمارات، حتىٰ نأتي بهم إليكم في المسجد، كي تعلموهم.

ولكن الحقيقة غير ذلك، حيث إننا نعتقد خطأ منهجهم وطريقتهم، ولا نجاهر بذلك صراحة حتىٰ نعين الخطأ ونتعاون علىٰ تصحيحه إذا كنا نعرف ذلك.

واعتقادنا بأن طريقتنا ومنهجنا هو الأفضل وهم وجهل كبير، حيث إن دعوة أهل السنة ممتدة منذ وفاة النبي ﷺ لأكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، لم تنقطع ولن تنقطع بإذن الله.

نعم يقل عنها الناس جيلًا بعد جيل وذلك بنص الحديث: «لا تزال طائفة

من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خذلهم حتىٰ يأتي أمر الله وهم كذلك»[١].

وقد بين العلماء في كل العصور أنهم أهل الحديث أهل السنة والجماعة وهذا لا يعني أنه لا يوجد بينهم مخطئ أو مقصر، ولكن هو المنهج الحق وما دام هو الحق يكون المنهج صحيح والطريقة صحيحة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا نقول إن أهل السنة لم يخطئ منهم أحد، ولكن نقول إن الحق لا يخرج عنهم».

ومن خلال هذه المقدمات وما يشوبها من ضباب لابد من الإجابة علىٰ هذا السؤال بصورة واضحة وجلية:

هل نحن في التبليغ علىٰ منهج واعتقاد أهل السنة والجماعة؟

وإذا كانت الإجابة بنعم، ما المانع أن نوجه الأحباب لاعتماد مراجعهم، ونخرج لكي نجمع المسلمين علىٰ هذا المنهج؟

وإذا كنا علىٰ غير ذلك لماذا لا نوضح ونبين ذلك حتىٰ يكون الجميع علىٰ بصيرة من أمرهم؟

ويعلم الله أنني حقيقة محتاج للإجابة علىٰ هذا السؤال، علمًا بأنني من

---

(١) صحيح مسلم رقم ١٩٢.

قال الإمام البخاري: هم أهل العلم.

وقال الإمام أحمد: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم.

وقال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذاهب أهل الحديث.

القدماء في التبليغ إلا أنني لا أستطيع الإجابة بنعم، بل المترجح عندي غير ذلك من خلال كثير من المعطيات والملاحظات.

الشيخ إنعام الحسن تفادى الإجابة عن الأسئلة الجادة حول أهداف وممارسات التبليغ:

رسالة الشيخ إنعام الحسن ومحتواها هو رد من الشيخ إنعام الحسن علىٰ أسئلة الشيخ سعد الحصين، ويرىٰ بعض القدماء أنها تجيب علىٰ بعض تساؤلاتي والتي أقرأها لأول مرة وأعلق عليها بما يأتي:

أولًا: كان سؤالي: لماذا نلزم الأحباب في الهند بكتاب تبليغي نصاب رغم أن أغلبه أحاديث ضعيفة أو موضوعة، وأعتقد أن سؤال الشيخ سعد الحصين كان كذلك؟

والشيخ إنعام الحسن بدلًا من أن يجيب علىٰ السؤال، اعتذر للمؤلف ودافع عن الكتاب بأن هناك كثيرًا من العلماء الأعلام لهم مؤلفات في الفضائل والسير فيها أحاديث ضعيفة.

وهذا لاعلاقه له بسؤالي، ولا بسؤال الشيخ سعد الحصين، حيث إننا لم ننكر علىٰ مؤلف الكتاب، فهو إن شاء الله مأجور بقدر جهده وإخلاصه.

ولكن السؤال لماذا نلتزم نحن ونلزم أجيال من الشباب بهذا الكتاب رغم علاته؟

أما الاعتذار بأن هناك كتب لأحمد بن حنبل وابن القيم وغيرهم من العلماء الأعلام وأن فيها أحاديث ضعيفة، فالمعلوم لدىٰ الجميع أن هذه

النوعية من الكتب لم تعتمد كمنهج ومرجع، ولم يرغب أو يوجه أحد من العلماء بالالتزام بها والعمل بموجبها[١].

وقرأت ملاحظة مهمة قالها بعض العلماء حول هذا الكتاب «تبليغي نصاب» وهو أنه تم تغيير عنوان الكتاب عندما كثرت الملاحظات والاعتراضات حوله من تبليغي نصاب إلىٰ فضائل أعمال ولم يتغير مضمون الكتاب!

ومن ذلك يتبين العقلية التي تسير التبليغ ومحاولة الترقيع والتمويه، وأعرف أن الكثير منا سيقوم بتبرير ذلك أيضًا ومحاولة إيجاد الحجج والمعاذير لهذا المسلك، علمًا أن الجاهل معذور، ولكن لا عذر للإنسان أن يقول غير الحقيقة أو أن يظهر خلاف ما يبطن، وإذا كان هذا المسلك قبيحًا ومذمومًا في حق الفرد العادي فهو أشد قبحًا عندما يصدر من جماعة تنادي بإقامة الأمة علىٰ الكتاب والسنة كما ندعي.

ثانيًا: لم نستدل بخطأ شخص منتسب للتبليغ واعتبرناه خطأ في التبليغ كما قال الشيخ إنعام، بل كان السؤال عن كتاب تبليغي نصاب وعن إلزامية الأعمال الخمسة وتعمد إشغال الأحباب في كل وقتهم وعدم ترك وقت

---

(١) المحدثون يذكرون الأحاديث بأسانيدها، وقد قام أهل العلم بعد ذلك ببيان الصحيح من الضعيف وحذروا من الأحاديث الضعيفة، وبينوا أنه لايجوز العمل بها، فهل سارت جماعة التبليغ علىٰ هذا المنهج وبينت الأحاديث الموضوعة والضعيفة وحذرت منها؟

كما أن كتب الأئمة لم يذكر فيها أحاديث شركية أو تدعو إلىٰ البدع والمحدثات، وغالب ما في كتب الأئمة من الأحاديث الضعيفة ضعفًا يحتمل أنه يتقوىٰ بغيره فيكون حسنًا لغيره.

وعنوان الكتاب (تبليغي نصاب) وأكثره أحاديث ضعيفة أو موضوعة يدل أن ما فيه من العلم هو النصاب الكافي للتبليغ. (د/ عبد الله).

لتعلم أمور دينهم.

كما سألت أيضًا عن مظاهر البدع في مركز نظام الدين وهو مركز الدعوة العالمي، ومن أمثلتها المداومة يوميًّا ومنذ سنوات طويلة علىٰ الدعاء جماعة، وكذلك المداومة علىٰ قراءة سورة يس يوميًّا.

والتعصب للمذهب الحنفي في المسائل التي ثبت أن السنة بخلافها، (أرجو مراجعة خطابي للمشايخ).

وهذا ليس من قبيل الاستدلال بخطأ شخص معين ونسبته للتبليغ، بل هذا من عمل ومسئولية المشايخ القائمين علىٰ أمر التبليغ منذ عهد الشيخ إنعام -يرحمه الله- وإلىٰ الآن.

الشيخ إنعام الحسن يعترف بالمبايعة على الطرق الصوفية:

الشيخ إنعام اعترف في خطابه بأنه يبايع البيعة الصوفية حيث قال: «كما هو معلوم أن البيعة في الطرق الصوفية رائجة ومنتشرة في شبه القارة الهندية، والواقع أننا إن لم نبايع هؤلاء الذين يصرون علينا، فإنهم حتمًا سيبايعون غيرنا، ويقعون في حبائل المبتدعة والمنحرفين من الصوفية..» هذا كلامه[١].

وكنت أظن في السابق أن هذه أكاذيب من تأليف المعترضين علىٰ

(١) سبب سؤال الشيخ سعد الحصين عن البيعة هو أن أحد القدماء من أهل جدة اسمه عباس شرقاوي، وقد أخبر الشيخ سعد بأنه بايع الشيخ إنعام الحسن البيعة الصوفية وعلىٰ أربع طرق منها: النخشبندية، والجشتية، والسهروردية، والقادرية، وعلىٰ هذا فإن هذه الطرق هي من الطرق غير المنحرفة عندهم والتي يربي ويبايع كبار الجماعة عليها. (د/ عبد الله).

التبليغ، وكنت أتمنىٰ أن يكون الشيخ إنعام علىٰ قيد الحياة لكي أسأله من هم الصوفية المنحرفون؟

وهل يقصد أن هناك صوفية منحرفون وصوفية غير منحرفين، وهذا واضح من مضمون كلامه في الخطاب؛ لأن الغالب علىٰ الطرق الصوفية الضلال والانحراف والابتداع في الدين، ومنها الطرق التي يلتزمها مشايخ التبليغ ويبايعون عليها، وسوف أبين مظاهر بعض ذلك الضلال بإيجاز فيما يلي:

الحقيقة المحمدية عند الصوفية:

يعرفها الصوفية بقولهم هي الذات مع التعين الأول ولها الأسماء الحسنىٰ، وهي اسم الله الأعظم، ويقولون: «إن الله لما توجه لخلق العالم، خلق روحًا كليًّا سماه حضرة الجمع والوجود، لكونه جامعًا لحقائق الوجود، سماه بالحقيقة المحمدية، لكون محمد ﷺ أكمل مظاهرها.

وإن الحقيقة المحمدية هي العقل الكلي الذي يصل ما بين الوجود المطلق وهو الله وما بين عالم الطبيعة، وإن الحقيقة المحمدية هي روح الله المنفوخ في آدم، وأن محمد ﷺ كان خلقًا في ظاهره خالقًا في باطنه، وأن الأنبياء كانوا صورًا للحقيقة المحمدية، وأن الحقيقة المحمدية ليست إلا الله متعينًا في أول تعييناته، وهي اسم الله الأعظم» التعريفات للشريف الجرجاني (من كتاب محبة الرسول بين الاتباع والابتداع).

عقيدة خاتم الأولياء عند الصوفية:

أكثر الطرق الصوفية أو جميعهم يؤمنون بخاتم الأولياء، وأنه يري الأمر علىٰ ما هو عليه، فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلىٰ الرسول، وهو بذلك عندهم أفضل من الرسول.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «خاتم الأولياء صار مرتبة موهومة، لا حقيقة لها، وصار يدعيها لنفسه، أو لشيخه طوائف، وقد ادعاها غير واحد، ولم يدعها إلا من في كلامه من الباطل ما لم تقله اليهود ولا النصارىٰ». رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين (ص٦٣).

الذين ادعوا ختم الولاية من أصحاب الطرق المعاصرة:

وممن ادعىٰ (ختم الولاية) من مشايخ الطرق المعاصرة: أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية، ومحمد عثمان الميرغني مؤسس الطريقة الختمية، والميرغني مؤسس الطريقة الختمية، من أسرة بخارية هاجرت إلىٰ الهند، ثم إلىٰ الحجاز، واستوطنت بالطائف، والميرغني اسم فارسي مركب (مير-وغني) ومعناه الشريف الغني، وسبب تسميتها بالختمية راجع إلىٰ مؤسسها، حيث ادعىٰ أنه خاتم الأولياء ولقب نفسه بالختم، لذلك سميت طريقته بالطريقة الختمية.

جاء في كتاب الختمية لمؤلفه محمد أحمد الختمي (ص١٣٣) عن بيعة الطريقة ما يلي: معنىٰ البيعة الالتزام أمام الشيخ المرشد باتباع آداب

وأذكار معينة لنيل رضوان الله، وبيعة الطريقة أن تقول: اللهم إني تبت إليك ورضيت بسيدي السيد محمد عثمان الميرغني شيخًا لي في الدنيا والآخرة.

ومعنىٰ شيخًا لي في الدنيا والآخرة يتضح لك من آية واحدة من القرآن وهو قوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ [الإسراء:٧١].

جاء في كتاب الهبات المقتبسة تأليف الشريف محمد عثمان (ص٧٦) أن شيخ الطريقة الختمية يزعم أن الله كلمه وقال له أنت تذكرة لعبادي، ومن أراد الوصول إليّ فليتخذك سبيلًا، وإن من أحبك وتعلق بك هو الذي خلد في رحمتي، ومن أبغضك وتباعد عنك فهو الظالم المعدود له العذاب الأليم.

وجاء في كتاب مناقب صاحب الراتب تأليف محمد عثمان الميرغني (ص١٠٢) حيث يزعم أن رسول الله ﷺ قال له: من صحبك ثلاثة أيام لا يموت إلا وليًا، وان من قبَّل جبهتك كأنما قبَّل جبهتي، ومن قبَّل جبهتي دخل الجنة.

ويزعم أنه أعطي راتبًا لا يقدر علىٰ قراءته أحد غير النبي ﷺ والمهدي. كتاب رسالة الختم تأليف السيد جعفر بن السيد محمد عثمان (ص١١١).

وقد ذكر من أذكارهم في كتاب مجمع الأوراد الكبير (ص١١٦) عن السيد محمد الحسن الميرغني أن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلي الله علىٰ سيدنا برهيته، تبتليه طورك، مزحل، برهشب، خوطر، قلينهود، برشا كطهير بانموا شلخ، شماهير، شمهما حيرحورب النور الأعلىٰ عبطال فلا إله إلا هو رب العرش العظيم.

ومن القصائد التي ينشدونها هذا البيت:

مـريدي فـلا تخـش مـن أمـر تخافـه فـإن كـنت في هـم وغـم

فنادنـي يـا ميرغـنـي أنجـيك مـن كـل شـدة

شيخ الطريقة البرهانية يدعي أن من قرأ الحزب السيفي سبعة مرات فإن ملك الموت لا يقبض روحه:

جاء في كتاب قبس من نور لمؤلفه محمد عثمان عبده البرهاني (ص٧٤) حيث يقول: ذهب أحد المريدين إلىٰ المستشفىٰ للعلاج وذهبت له ومعه أحد أبناء الطريقة، فقلت له: إن هذا الفتىٰ من أقربائي اعتني به فلن أستطيع أن أعوده كل يوم، فجاء عزرائيل ملك الموت لقبض روحه فقال له: إلىٰ أين؟ قال: أريد قبض روح هذا المريد. فقال: لا تقبض روحه؛ لأن الشيخ أوصاني بالمحافظة عليه. فقال له ملك الموت: إذا لم ترد موته اقرأ عليه الحزب السيفي سبع مرات كل يوم، فقرأ له الحزب السيفي فرأىٰ المريض الجنة ورتبته فيها، فقال لأخيه الذي يقرأ له: أستحلفك بالله ورسوله أن تكف عن قراءتك للحزب السيفي لي لأنني أريد أن أموت فأدخل الجنة.

اعتقاد الصوفية أن الأولياء لهم تصرف في الكون، وأنهم يعلمون الغيب ويحيون الموتى ويقلبون الأنثى ذكراً:

قال الشيخ عبد الرحيم البرعي السوداني في قصيدته (قوماك نزاور) بديوانه رياض الجنة (ص٢٩٦) حيث يقول:

قـوماك نـزاور الأولـياء الأقطـاب لـيهم نـشاور

منهم خفي الحال منهم مجاهر منهم عليم الغيب ظاهر وباطن

والله ﷻ يقول: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥].

وجاء في صحيح البخاري أن جارية مدحت النبيﷺ بشعر قالت فيه: وفينا نبي يعلم ما في غد، فنهاها عن ذلك وقال لها: «**لا تقولي هذا؛ فإنه لا يعلم الغيب إلا الله**».

وروى البخاري أيضًا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: من حدثك أن محمدًاﷺ يعلم الغيب فقد أعظم على الله الفرية؛ فإن الله تعالى قال: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾[1].

وقال البرعي في قصيدته التي يمدح فيها الشيخ أحمد الطيب البشير (ص١١١) من ديوانه رياض الجنة:

عن الطيب الغوث المبارك منهجي ومشورتي في الناس أن يطيبوا

إلى أن يقول:

ألم تر أن الله أيده بما يقوم مقام المعجزات يناسب

كإحيائه ميتًا وكالبنت بعدما أتت وهي أنثى للذكورة تقلب

وقد زعم أن شيخه قد أتاه رجل فطلب منه أن يعطية مولودا ذكرًا، فقال له: هل عندك بنات؟ قال: نعم. قال: كم؟ قال: ست بنات. قال: احضر منهن

---

(١) راجع حوار هادي مع البرعي للشيخ مصطفى عبد القادر، وشعر البرعي في ميزان الكتاب والسنة لعمر التهامي.

واحدة، فأحضرها فمسح الشيخ عليها بيده فانقلبت ذكرًا.

وهذا مذكور في كتاب روائع برعي السودان، وفي خاتمة الكتاب إجازة من البرعي وعليه صورته.

ويروي الكتاب (ص٤٢) أن أحد المشايخ خلق من قطعة خشب امرأة لكي تخدم زوجته، حيث يقول عن الشيخ تت الفلاتي كان رجلًا جليلًا في عالم الأسرار، ومن كراماته ما أخبر به عبد المحمود بن أحمد الشبلي أن أحد نسائه طلبت منه أن يشتري لها خادمة تخدمها، فأخذ منها ثوبًا وفأسًا، وذهب إلىٰ الغابة فقطع من شجرة قطعة مثل قامة الإنسان وأخذ سبحته وصار يذكر الله، فتحركت الشجرة وانقلبت إلىٰ امرأة، فقال لها الشيخ: بخيتة. قالت: نعم سيدي، فذهب بها إلىٰ زوجته فعاشت عندها زمنًا ثم ماتت.

ادعاء البرعي أن هناك رجالًا إذا شاءوا كانت مشيئة الله تابعة لمشيئتهم، وذلك في قصيدته العارفون بالله حيث قال:

ألا يا رجال الغيب أنتم حصوننا … فما زال مسبولًا علىٰ الناس ستركم

إذا شئتم شاء الإله وإنكم … تشاءون ما قد شاء الإله لله دركم

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

البرعي يدعي أنه إذا كتب اسم الشيخ عبد القادر الجيلاني علىٰ كفن الميت يكون له حرزًا من النار ومن العذاب، وأن الشيخ عبد القادر ينوب عن الله في حضرة العلا حيث قال:

هو القطب والغوث الكبير هو الذي أفاض علىٰ الأكوان كالبحر والسيل

وعند ظهور الحال يخطو علىٰ الهوىٰ ويظهر شيئًا ليس يدرك بالعقل

بأكفان من قد مات إن كتب اسمه يكون له سترًا من النار والهول

وكل ولي عنقه تحت رجله بأمر رسول الله يا لها من رجل

ينوب عن المختار في حضرة العلا ويحكم بالإحسان والحق والعدل

وقال في مدح أحمد التجاني (ص١٢١):

هو قطب الأولياء بعصره وممدهم بالسر والإعلان

ويدعي البرعي أيضًا أن مشايخ الصوفية يقابلون النبي ﷺ عيانًا ويأخذون منه الأحاديث والأحكام مباشرة من غير طريق النقل المتواتر عن الصحابة كما هو مثبت في كتب الصحاح كالبخاري ومسلم؛ حيث يقول في قصيدته أهل الطريق (ص١٣٨):

ورووا حديثًا صح عن مختارهم من غير واسطة البخاري ومسلم

وقال أيضًا في مدح أحمد الطيب البشير (ص١١١):

منها رؤياه للمصطفىٰ أحمد جهرًا عيانًا قولًا صحيحًا بأكد

الشيخ البرعي يزعم أن من مات وقيل عند حفر قبره هذا قبر أحمد الطيب البشير السماني فإن صاحبه لا يعذب، وهذا في ديوانه رياض الجنة (ص١١١) حيث يقول:

ومن قال هذا قبر أحمد أولًا فصاحبه في القبر ليس يعذب

وقد أكد ذلك أيضًا الدكتور حسن الفاتح قريب الله من رءوس الطريقة السمانية التي يدين بها الشيخ البرعي، وقد أورد في كتابه قطرات من بحور الطريقة السمانية (ص٣) حيث قال: إذا أردتم أن تحفروا قبر ميت فقولوا: هذا قبر أحمد الطيب، فإن الله لا يعذب صاحبه. راجع حوار هادي مع البرعي للشيخ مصطفىٰ عبد القادر.

وكذلك يعتقد أصحاب الطريقة التجانية أن طريقتهم أخذها شيخهم أحمد التجاني من النبي ﷺ مشافهة وأنه قابل النبي ﷺ يقظة لا منامًا، وأخذ عنه الطريقة جاء ذلك في كتاب [الفتح الرباني بما يحتاج إليه المريد التجاني (ص٩)].

الصوفية يجيزون دعاء غير الله من الأموات والمقبورين والاستعانة بهم في دفع الضر وجلب المنافع:

قال الشيخ عبد الرحيم وقيع الله البرعي في مدح الشيخ إسماعيل الولي (ص١٩٩) من ديوانه رياض الجنة حيث قال:

إذا ناب خطب في البلاد نزيل   قل يا ولي الله إسماعيل

والله تعالىٰ يقول: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ [الأحقاف:٥].

ويقول تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٤].

الصوفية يجيزون بناء القباب على القبور، وأن لها حرمات كحرمات المساجد خلافًا للثابت من دين الإسلام الذي ينهى عن البناء على القبر:

يزعم الشيخ عبد الرحيم وقيع الله البرعي أن البناء فوق القبور جائز، وذلك في كتابه رياض الجنة (ص١٦٥) في قصيدته أرباب العقائد حيث قال:

فأصحاب القباب لهم مزايا   تقوم علىٰ أدلتها الشواهد
يحق بناء توقير عليهم   وتعظيم كحرمات المساجد

إيمان الصوفية بالأقطاب والأوتاد:

وجميع الصوفية يؤمنون بالقطب والأوتاد الأربعة.

يقول أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية: «إن حقيقة القطب هي الخلافة العظمىٰ عن الحق مطلقًا في جميع الوجود جملة وتفصيلًا، حيث ما كان الرب إلهًا كان هو خليفته في تصريف الحكم، فلا يصل إلىٰ الخلق شيء كائنًا ما كان إلا بحكم القطب» كتاب جواهر المعاني في فيض التجاني (ص ٨١).

ويقول أحمد التجاني أيضًا: «لما خلق النور المحمدي، جمع في هذا النور المحمدي جميع أرواح الأنبياء والأولياء جميعًا جمعًا أحديًا قبل التفصيل في الوجود العيني، وذلك في مرتبة العقل الأول» كتاب رماح حزب الرحيم لعمر بن سعيد.

وقال أحمد التجاني أيضًا: «أخبرني سيد الوجود يقظة لا منامًا: كل من أحسن إليك بخدمة أو غيرها وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب

ولا عقاب، فسألته لكل من أحبني ولكل من أحسن لي بشيء من مثقال ذرة ومن أطعمني طعامه، كلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب، وسألته لكل من أخذ عني ذكرًا أن تغفر لهم جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر، وأن يرفع الله عنهم محاسبته علىٰ كل شيء، وأن يكونوا آمنين من عذابه من الموت إلىٰ دخول الجنة، وأن يكونوا كلهم في عليين في جوار النبي.

فقال لي ﷺ: ضمنت لهم هذا ضمانة لا تنقطع حتىٰ تجاوروني أنت وهم في عليين» (ص ٩٧/ ج١) من كتاب جواهر المعاني في فيض التجاني.

وقال أحمد التجاني أيضًا: «ليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي» كتاب جواهر المعاني (٢/ ١٧٦).

وجاء في كتاب رشحات عين الحياة (ص١٤٨) نقلًا من كتاب حقائق الطريقة النخشبندية للشيخ عبد الرحمن دمشقية: «إن من علامات البطالة حمل المصحف فإن تلاوة القرآن وظيفة المتوسطين والصلاة شغل المنتهين وأهم المهمات الاشتغال بالنفي والإثبات».

عقيدة وحدة الوجود عند بعض الصوفية:

فالوجود عندهم كله هو الله، والكثرة التي تشهدها الحواس إنما هي مجرد صور ومظاهر ومجال تتجلىٰ فيها الصفات الإلهية، وليس هناك فرق حقيقي بين الوحدة والكثرة أو بين الحق والخلق إلا من حيث الاعتبار والجهة أو النسب والإضافات أو الأسماء والصفات فالحقيقة الوجودية واحدة في

ذاتها متكثرة بصفاتها وأسمائها، فالله حق في ذاته خلق من حيث صفاته، وصفاته عين ذاته، فالخلق عين الحق، والحق هو الخلق. فصوص الحكم لابن عربي (ص١٠١).

ذكر إسماعيل القادري من شيوخ الطريقة القادرية:

«أن السالك علىٰ الطريقة القادرية يقطع سبعة مقامات آخرها مقام النفس الكاملة التي عالمها كثرة في وحدة ووحدة في كثرة»، وهو بذلك يقرر عقيدة وحدة الوجود. من كتاب عقيدة الصوفية للدكتور أحمد بن عبد العزيز (ص٢٠٣).

وذكر أيضًا أن مؤسس الطريقة النخشبندية يدعي علم الغيب، وأنه يمد أتباعه في الحياة وبعد الممات، وأنه من المؤمنين بعقيدة وحدة الوجود.

قال الشيخ محمد حامد الفقي عن عقيدة وحدة الوجود عند الصوفية:

«هو دين الصوفية من آلاف السنين يخفونه ويظهرونه حسب النيات والظروف التي يعيشون فيها، من قوة العلم والإيمان وضعفهما، فإنهم حين وفدوا من الهند والفرس واندسوا في الأوساط الإسلامية في القرن الثاني الهجري، لم يستطيعوا أن يكشفوا عن حقيقة دينهم، فأخذوا يظهرونه بلباس الغلو في التقشف ومجافاة الدنيا، ثم أخذوا في أواخر القرن الثاني يظهرونه بعض الشي بالتلميح والإشارة».

شرح رسالة العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية تعليق محمد حامد الفقي (ص ١٦).

اعتقاد الصوفية في الولي الملاماتي:

وجميع الطرق الصوفية تعتقد في الولي الملاماتي، وهو الذي يقولون عنه إن روحه سبقت ذاته، ولذلك يمكن أن يخالف الأمر الشرعي، ويفعل الفواحش والمنكرات.

وقد ورد ذكرهم كثيرًا في طبقات الشعراني، وكثيرًا ما يقول في كتابه عندما يحكي عن أحد هؤلاء الأولياء الملاماتية.. وكان ﷺ إذا رأىٰ امرأة أو أمردًا راوده عن نفسه وحسس علىٰ مقعدته، ولا يلتفت إلىٰ الناس. هذه هي الصوفية للشيخ عبد الرحمن الوكيل (ص ١٠٦).

وأنشد قائلهم هذا البيت:

وإن كنت في حكم الشريعة عاصيًا ... فـإني في علـم الحقـيقة مطـيع

قال الشيخ عبد الرحيم البرعي السوداني في ديوانه رياض الجنة (ص ١٣٨) في مدح الأولياء حيث قال:

وإذا بـدا لـك منكـرا ألفيـته ... في قـولهم أو فعلهـم لمحـرم

أولْ بفقـه مـا تـشابه مـنهم ... تأويـل خيـر مـؤول ومتـرجم

فهو بذلك يقر أن الأولياء بزعمه يمكن أن تأتي منهم الأقوال المنكرة ويفعلون الفواحش والمحرمات ولا ينكر عليهم ولا يذموا بذلك !

اعتقاد الصوفية أن الأولياء لهم تصرف في الكون:

وينقل أيضا من الإبريز للدباغ (ص ٧٣ج ٢):

«يقول الدباغ رأيت وليًّا بلغ مقامًا عظيمًا، وهو أنه يشاهد المخلوقات الناطقة والصامتة، والوحوش، والحشرات، والسموات، ونجومها، والأرضين، يسمع أصواتها وكلامها في لحظة واحدة، ويمد كل واحد بما يحتاجه، ويعطيه ما يصلحه من غير أن يشغله هذا عن ذاك».

قال عبد الرحيم البرعي السوداني في ديوانه رياض الجنة يمدح العارفين بالله:

نفعتم ولم يمكث علىٰ الأرض غيركم وقد عم سكان السموات خيركم

إلىٰ أن قال:

ألا يا رجال الغيب أنتم حصوننا فما زال مسبولًا علىٰ الناس ستركم

أيلحقني ضيم وأنتم حمايتي وألهث عطشانًا وقد فاض بحركم

فحاشىٰ وحاشىٰ أن تضيع عيالكم وأنتم عيال الله والأمر أمركم

إذا شئتم شاء الإله وأنكم تشاءون ما قد شاء الله دركم

وادعىٰ أن شيخه أحمد الطيب البشير يحضر عند مريده عند الاحتضار ويلقنه في القبر في قصيدته يا نفسي حيث قال:

يحضر مريده في النزع والقبر للحجة يلقن بأحسن التعبير

وقال أيضًا في مدحه:

ومن زاره لله ثم أحبه بصدق له تاج الولاية يوهب

وولاية كبرىٰ وحسن خواتم والأمن يوم الحشر والميزان

ويقول البوصيري في قصيدته البردة:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

أي أن الدنيا والآخرة هي من جود النبي ﷺ.

ابتداع الصوفية في الدين واختراع أذكار وأوضاع وألفاظ لم ترد في الشرع:

وهذا عام في جميع الطرق الصوفية والمتصوفة بدون استثناء، حيث إن أفضل أحوالهم أنهم مبتدعون في الدين، حيث إنهم التزموا أوضاع وأحوال وأذكار مبتدعة ليس عليها دليل من الشرع، ولا ينازع في ذلك إلا من أعمىٰ الله بصيرته عن الحق.

البرعي السوداني يبتدع ذكرًا فيه إشارات ورموز أرباب وحدة الوجود وهو كما يأتي:

تقول:

«والمخاطب هو السالك في الطريق علىٰ يد البرعي، يا هو، مائة مرة جرد أو عشرين مرة سقط (أي عدًّا بالمسبحة)، ثم تغمض عينيك وتشير إلىٰ السماء وتقول: ها لا فاعل في الوجود إلا الله، ثم تشير نحو اليمين والشمال وتقول: هو لا حي في الوجود إلا الله، ثم تشير نحو الأرض وتقول: هي لا وجود لغير الذات».

ويقول صاحب دلائل الخيرات:

«اللهم صلِّ علىٰ سيدنا محمد بحر أنوارك ومعدن أسرارك ولسان حجتك وعروس مملكتك وإمام حضرتك المتلذذ بتوحيدك إنسان عين الوجود والسبب في كل موجود عين أعيان خلقك».

ويقول أحمد التجاني في فضل صلاة الفاتح:

«إن سيد الوجود ﷺ أخبره بأن المرة منها تعدل كل تسبيح وقع في الكون وكل ذكر وكل دعاء صغير وكبير ستة آلاف مرة».

ويقول أحمد بن إدريس شيخ الطريقة الإدريسية في إحدي صلواته:

«اللهم صل علىٰ أم كمالات الذات، عين الوجود المطلق الجامع لسائر التقييدات صورة ناسوت الخلق، معاني لاهوت الحق، الغيب الذات والشهادة الأسماء والصفات الناظر بالكل في الكل من الكل للكليات والجزئيات».

ويقول أحمد بن عبد العزيز الدباغ من أهل فاس بالمغرب:

«اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسموات وأرضين وجنات وحجب، وما فوقها وما تحتها إذا جمعت كلها وجدت بعضًا من نور محمد، وإن مجموع نوره لو وضع علىٰ العرش لذاب، ولو وضع علىٰ الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت».

ويقول صاحب كتاب النفحات الأقدسية:

«فشأن محمد في جميع تصرفاته هو شأن الله تعالىٰ، فليس لمحمد ﷺ من محمد شيء، ولذلك كان نورًا ذاتيًا من عين ذات الله».

يقول عبد الكريم الجيلي:

«اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلىٰ آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلىٰ أبد الآبدين، ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس فيسمىٰ به باعتبار لباس، ولا يسمىٰ به باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد.. واعلم أن الإنسان الكامل مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه فيقابل الحقائق العلوية بلطافته ويقابل الحقائق السفلية بكثافته».

هذا نذر يسير من معتقدات وأباطيل الصوفية، وقد لا يتسع المقام لذكر المزيد، وقد ذكرت هذا القدرحتىٰ لا يفهم أن هناك صوفية مستقيمة وسليمة، لأن البعض يستثني طائفة البريلوي ويصفها بالضلال، والحقيقة أن كل الطرق الصوفية المنتشرة اليوم هي فرق ضلال، ولكن البريلوي أضل منهم.

تبرير الشيخ إنعام الحسن للبيعة الصوفية:

برر الشيخ إنعام البيعة الصوفية، وسماها بيعة التوبة، ومن حقنا أن نسأل التوبة ممَّاذا؟

مع أن الشيخ اعترف أن الذين جاءوا ليبايعوا البيعة الصوفية، فهل أخبرهم أن البيعة الصوفية لا تجوز وأنها عمل باطل، وبايعهم علىٰ التوبة منها؟

وإذا لم يحصل ذلك لا تكون هناك نتيجة ولا فائدة، بل المفسدة متحققة لاختلاف النية، أي هم عندما بايعوه معتقدين البيعة الصوفية، وهو في نيته بيعة للتوبة كما قال.

مع العلم أنه لا توجد شرعًا بيعة من الذنوب والمعاصي، والواجب من الذنوب والمعاصي التوبة، وقد بين العلماء شروط التوبة وهي:

أن يقلع عن الذنب، ويندم علىٰ فعله، ويعزم ألا يعود إليه، وإذا كانت متعلقة بحق من حقوق العباد رده إليه.

وليس من شروطها الذهاب إلىٰ أمير أو سلطان أو حاكم أو عالم للمبايعة عليها، ولم يثبت أن العلماء أو الأمراء منذ العصر الأول وإلىٰ يومنا هذا كانوا يبايعون الناس علىٰ التوبة، لا الصحابة ولا من جاء بعدهم في القرون الفاضلة.

ولا نستطيع أن نقول إن الشيخ إنعام يجهل ذلك! أي التوبة وشروطها، وفي نفس الوقت لا نستطيع أن نقول إنه لم يرد قول الحقيقة والإفصاح عن هويته وانتمائه الصوفي، علمًا بأن بعض المقربين من مشايخ التبليغ والمؤيدين لهم يعرفون فيهم الانتماء الصوفي.

جاء في مقال في جريدة المدينة بتاريخ ١٢/٨/ ٢٠٠٥ للدكتور عبد العزيز القاري وهو أستاذ جامعي سابق ذو ميول صوفية، وهو علىٰ صلة بقادة التبليغ ومن المؤيدين للتبليغ.

قال في بعض كلامه وكان يتكلم عن الشيخ عبد العزيز بن باز: «ولقد رأيت بنفسي كيف استقبل يومًا في بيته بالطائف الشيخ إنعام الحسن ومعه بعض شباب التبليغ استقبلهم هاشًّا باشًّا، وأظهر الأنس بهم ودعا لهم ونصحهم وتلطف بهم غاية التلطف، والشيخ إنعام وقتها هو رئيس جماعة

التبليغ، ورؤساء التبليغ صوفيون نقشبنديون جشتيون، وأتباعهم من أهل الهند والباكستان كذلك..» انتهىٰ كلامه.

وقال الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه عن الشيخ محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ والكتاب طبع في الهند عام ١٩٩٢ الناشر مكتبة الاختر دلهي الجديدة، ذكر في صفحة ١٢و١٣ بأن الشيخ إلياس بايع الشيخ رشيد الكنكوهي في قرية كنكوه في مديرية سهارنفور، وبعد وفاة الشيخ الكنكوهي انتقل الشيخ إلياس إلىٰ الشيخ خليل السهارنفوري وبايعه.

لا يوجد في حديث جرير بن عبد الله دلالة على البيعة الصوفية؟

أما فيما يتعلق باستدلال الشيخ إنعام الحسن بحديث جرير بن عبد الله ﷺ لتبرير البيعة الصوفية: «بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»[1].

فهذا الحديث ليس فيه دليل علىٰ البيعة الصوفية، كما أن الشيخ إنعام لم يبايعهم علىٰ أي أمر من الأمور التي ورد ذكرها في الحديث.

وإذا رجعنا للعلماء ولكتب شراح الحديث لمعرفة دلالة الحديث عندها، سوف نتبين أنه لم يقم بالنصح لهم.

وإذا اعتبرنا هذا العمل من الشيخ من باب الحرص علىٰ السنة (تطبيق حديث جرير) لماذا يتمسك المشايخ ومنهم الشيخ إنعام الحسن في كثير من

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٧.

المسائل بما جاء في مذهبهم رغم مخالفتها للثابت من السنة؟

ولماذا يصرون علىٰ ممارسة بعض البدع التي لم تثبت عن النبي ﷺ وفيها مخالفة لسنته وهديه؟

كالمداومة علىٰ تلاوة سورة يس يوميًّا، والمداومة علىٰ الدعاء يوميًّا جماعة بعد العصر، وهذه الممارسة موجودة منذ زمن الشيخ إنعام الحسن وإلىٰ اليوم في المركز العالمي للتبليغ في الهند، لم تتوقف يومًا واحدًا.

فهل نستطيع أن نقول إن هذا من السنة؟

وإذا لم يكن من السنة لماذا نفعله؟

أحد القدماء قال لي: هذا بسبب الأحوال والمخاطر التي يمر بها التبليغ، قلت له: إن المخاطر والأحوال الصعبة التي مرت بها الدعوة في عهد النبي ﷺ أكبر وأعظم، ولم يتم شيء من ذلك في مسجده، ونفس الأحوال الصعبة حصلت في زمن أبي بكر ولم يتم شيء من ذلك في مسجده، نعم النبي ﷺ دعا طويلًا يوم بدر حينما تواجه الفريقان ولم يجمع الجيش كله معه للدعاء وذلك لم يكن في المسجد.

الشيخ إنعام يمدح التصوف ويؤكد ارتباطه بالتبليغ:

ذكر الشيخ إنعام في كلامه بأنه يقر من التصوف ما يوافق الربانية التي عبر عنها القرآن بالتزكية والحديث بالإحسان؟[1].

(١) هذا أيضًا من تحريف مشايخ التبليغ للمصطلحات الشرعية، فيفسرون التزكية التي تكون بالتزام السنة =

ومعروف أن الشيخ إنعام لم يكن يتحدث عن نفسه وممارساته الشخصية بل يتحدث بصفته أميرًا ومسئولًا عن التبليغ.

ولم يبين لنا الأشياء التي أقرها عند الصوفية وهي توافق الربانية والإحسان التي عرفها القرآن والسنة.

مع العلم أنه وحسب تعريفات العلماء أنها معانٍ لكمال الإيمان، وفي حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ عندما أتاهم جبريل كي يعلمهم دينهم، بين النبي ﷺأن الإحسان أعلىٰ درجات الإيمان، فكيف نصف من لم يحقق أقل الإيمان بذلك؟

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن الأصل الذي يقوم عليه دين الإسلام هو ألا نعبد غير الله، وألا نعبده إلا بما شرع،وهذا هو معنىٰ لا إله إلا الله، فالذي يصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله لم يحقق (لا إله إلا الله)، والذي يبتدع في دين الله ويخالف سنة رسول الله لم يحقق (محمد رسول الله).

وقد بين العلماء شروط قبول العمل: وهو أن يكون خالصًا وصوابًا، فإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لا يقبل، وإذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لا يقبل، والصواب ما كان علىٰ السنة.

فكيف مع هذا نصف أعمالهم بالربانية والإحسان رغم مخالفتهم للمنهج

=

والأعمال الصالحة المشروعة بالممارسات الصوفية البدعية، ويفسرون الإحسان الذي هو قمة الإخلاص والاتباع بالزهد والأذكار المنحرفة، وتقدم أنهم يفسرون الآيات التي وردت في الجهاد والأخبار الواردة في فضل العلم والسفر لتعلمه علىٰ الخروج المبتدع عند الجماعة. (د/ عبد الله).

الحق وابتداعهم في الدين؟

روي عن النبيﷺأن من وقر صاحب بدعة فقد أعان علىٰ هدم الإسلام[١].

ويحكىٰ عن الفضيل بن عياض أنه قال: «من أحب صاحب بدعة أخرج الله نور الإسلام من قلبه».

وقال يحيىٰ بن كثير: «إذا لقيت صاحب بدعة فخذ في طريق آخر»[٢].

إذن يظل السؤال قائمًا: ما هي الأعمال أو الأحوال التي بلغت درجة الإحسان التي أخذها من الصوفية حتىٰ لا يلتبس الأمر علىٰ المنضوين في التبليغ والمؤيدين له؟

ليس كل ما قاله الشيخ أبو الحسن الندوي حول جماعة التبليغ صحيح وموافق للحقيقة:

شهادة الشيخ أبو الحسن الندوي ووصفه لجماعة التبليغ بأنها أصلح الجماعات الإسلامية عقيدة وسلوكًا وعملًا، هذا الكلام مبالغ فيه ولا يعكس الحقيقة، وأنا وكل القدماء أعرف بالتبليغ من الشيخ أبي الحسن الندوي، هو شاهد من الخارج ونحن نعرف البناء من الداخل وما فيه من عيوب، والأجدر بنا تدارك العيوب والأخطاء لتلافيها وإصلاحها قبل فوات الأوان، وعدم التعلق بأقوال العلماء المؤيدين للتبليغ، لأن المعتبر والملزم في أقوال العلماء هي فتاويهم في المسائل العلمية بعد بحثها والتحقيق فيها بموافقة

---

(١) شعب الإيمان رقم ٩٤٦٤ ج ٧، المعجم الكبير رقم ١٨٨ ج ٢.

(٢) شعب الإيمان رقم ٩٤٦٣ ج ٥.

الدليل، هذا هو المعتبر والملزم في أقوال العلماء[١].

أما رأيهم في الجماعات، والمناطق، والأشخاص، فهذا يعتبر ويعمل بمقتضاه بقدر معرفتهم الحقيقة بهذه الجماعات والأشخاص.

من قال إن هذه الجماعة من أصلح الجماعات الإسلامية عقيدة وعملاً وسلوكًا؟

الشيخ أبو الحسن الندوي وخلافًا لكل المؤيدين للتبليغ قال: إنها أفضل الجماعات اعتقادًا وعملًا وسلوكا، وأعتقد أن هذا غير صحيح، لا أنا ولا أي واحد من أهل التبليغ يستطيع أن يقول بهذا، أي بأننا أفضل الجماعات الموجودة اعتقادًا وعملًا وسلوكًا.

نعم الصفة الأولىٰ من الصفات الست التي نعتمدها هي تصحيح اليقين علىٰ الله وتحقيق لا إله إلا الله، ونحن منذ أن نشأ التبليغ يقتصر كلامنا حولها فيما يلي: كيف نخرج اليقين الفاسد من قلوبنا وندخل اليقين الصحيح علىٰ ذات الله، ولا نفصح عن اليقين الفاسد الذي يجب إخراجه، واليقين الصحيح الذي يجب إدخاله[٢].

وفي أحسن الحالات نتعلمها ونعلمها للذين يخرجون معنا هكذا، كيف نتحصل اليقين علىٰ ذات الله ونتيقن أن الله خالق ورازق ومتصرف

---

(١) هذه من أمور الواقع التي قد تختلف فيها أقوال أهل العلم بحسب الأخبار التي تبلغهم عنها. (د/ عبد الله).

(٢) بيَّن الشيخ ابن عثيمين أن هذه العبارة غير صحيحة.

وبيده كل شيء، ولكيفية الحصول عليها ندعو الآخرين إلىٰ لا إله إلا الله.

هذا كل ما عندنا، وحتىٰ الآن لم نحدد مرجعيتنا بصورة واضحة لذلك نحن خليط لا يجمع بيننا إلا الخروج، وإذا أحسنا الظن وقلنا إن هذا السكوت وعدم البيان لحكمة ومصلحة، ورغم أننا إلىٰ الآن لم نتبين تلك الحكمة والمصلحة، كما أنه لا ينسب لساكت قول كما يقال، فكيف نصفها بأنها من أصلح الجماعات!

لأن سكوتنا عن بيان وإيضاح مسائل مهمة وأساسية هي المعنىٰ الشرعي لكلمة التوحيد التي هي أساس الدين، والتي بمعرفتها يتحدد صلاحنا وصلاحيتنا، وتميزنا علىٰ غيرنا، وهناك ملاحظة مهمة وهي أن الشيخ أبا الحسن الندوي كتب هذه الرسالة عام١٣٨٩، وهناك معطيات وحقائق كثيرة تغيرت لم يتم دراستها واستيعابها، وبناء عليها يمكن تقديم المناسب لكل مرحلة، كما نعامل الطفل نغير في كل مرحلة من مراحل عمره في نوعية المناهج وفي طرق توصيلها، ولا نتمسك بالمنهج والطريقة التي قدمناها له عندما كان عمره سبعة سنوات، ونصر علىٰ صلاحيتها وتقديمها له في عمر العشرين.

وأظن أن كلامي مفهومًا؛ لأنه عندما كنا نسمع الأحوال التي حكتها الجماعة التي خرجت إلىٰ فرنسا في بداية الستينات، وأنه عندما قام واحد من الجماعة وأقام الأذان في ساحة إحدىٰ العمارات السكنية الضخمة خرج المسلمون الذين يسكنون في تلك العمارة يبكون، لأنهم لم يسمعوا الأذان لمدة طويلة، أو أن بعضهم لم يسمع الأذان مدة حياته، فهذه الأحوال تغيرت الآن بسبب عوامل كثيرة وبسبب جهود دعوية كثيرة ولم تعد كما كانت.

وأعرف في مدينة مرسيليا وحدها اليوم يوجد اتحاد يضم أئمة المساجد قائم علىٰ منهج أهل السنة والجماعة، وجميعهم من العلماء، ناهيك عن المدن الأخرىٰ والبلدان الأخرىٰ.

وكلام الشيخ أبي الحسن الندوي فيما عدا جماعة التبليغ إما مدح يشبه الذم، وإما ذم يشبه المدح، وقد صرح في النهاية بأن جماعة التبليغ أصلح الجماعات اعتقادًا وعملًا وسلوكًا، وهذا يفسر ما قبله، ولا حاجة لزيادة إيضاح.

وترتيبًا علىٰ هذا الكلام، هل يمكننا الآن أن نقول لكل علماء الأمة ودعاتها اعترفوا بالخطأ واتركوا ما أنتم عليه من منهج وطريقة، وسلموا الأمر للتبليغ ومشايخه فهم الأقدر علىٰ قيادة الأمة للأصلح؟

ما الذي يمنع ذلك؟ إذا كنا نعتقد أن جماعة التبليغ هي أصلح الجماعات الموجودة سلوكًا وعملًا واعتقادًا، وأن جميع الدعوات الأخرىٰ خاطئة أو قاصرة ولا تؤثر في الدعاة أنفسهم كما نقول في التبليغ.

تجاهل الشيخ أبو الحسن الندوي في عده للمجددين والمصلحين رمز لا تخطئه العين وعلامة مضيئة في الطريق، وهو شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد ظهر في أواخر القرن السابع، مع انتعاش الفرق والطرق المنحرفة، وقد كان لظهوره آثار عظيمة، فقد جمع منهج أهل السنة والجماعة في العلم والاعتقاد والفهم والعمل، وتعد مؤلفاته مرجعًا لفهم منهج أهل السنة والجماعة، وقد شهد له بذلك جميع علماء عصره، وكتب السير والتراجم مليئة بذلك، وعداوة الرافضة والباطنية واصطحاب الطرق المنحرفة له، تعتبر شهادة له أنه علىٰ الحق.

قال عنه الحافظ الذهبي: «لو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله، إنه بحر لا ساحل له، وكنز لا نظير له، شيخنا الإمام العالم العلامة، شيخ الإسلام، مفتي الفرق، قدوة الأمة، أعجوبة الزمان، بحر العلوم، حبر القرآن، تقي الدين، سيد العباد، أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية».

وقال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني: «شهرة إمامة الشيخ تقي الدين أشهر من الشمس، وتلقيبه بشيخ الإسلام في عصره باق إلىٰ الآن علىٰ الألسن الزكية، ويستمر غدًا كما كان بالأمس، ولا ينكر ذلك إلا من جهل مقداره، أو تجنب الإنصاف، فما أغلظ من تعاطىٰ ذلك عثاره، وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتقدم في المنطوق والمفهوم أئمة عصره من الشافعية وغيرهم فضلًا عن الحنابلة».

ذكر الشيخ أبو الحسن الندوي المجددين في التاريخ وعد منهم فقط الحسن البصري، والشيخ عبد القادر الجيلاني، والحسن البصري من علماء التابعين، وهو سيد أهل زمانه علمًا وعملًا، وهو شيخ أهل البصرة، وليست له مؤلفات أو تصانيف باقية إلىٰ اليوم.

أما بعض الصوفية فينسبونه كذبًا إلىٰ التصوف، جاء في كتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة (ج١/ ص ٥) قال: «أول واضع هذا العلم يعني التصوف فهو النبي ﷺ بالوحي والإلهام، فنزل جبريل أولًا بالشريعة، فلما تقررت نزل بالحقيقة، فخص بها بعضًا دون بعض، وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا علي كرم الله وجهه، وأخذه عنه الحسن البصري».

أما الشيخ عبد القادر الجيلاني ظهر في القرن السادس الهجري واسمه عبد القادر بن موسىٰ بن عبد الله بن جكني دوست، ولد بجيلان بفارس، ومن كتبه الفتح الرباني والغنية، يعتبره الصوفية شيخ الطريقة، وبعضهم يعده من الأقطاب، وتنسب له الطريقة القادرية المنتشرة اليوم في الهند وإفريقيا.

قال عنه الإمام الذهبي: «الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه، وبعض ذلك مكذوب عليه».

وأنا أرجو ألا يكون تخصيص الشيخ أبي الحسن الندوي لهما دون غيرهما له علاقة بهذه النسبة المزعومة للتصوف.

❊ ❊ ❊

رسالة طلاب الجامعة الإسلامية الذين انضموا إلى التبليغ

الرسالة الموسومة (برنامج عملي للدعاة) والمعدة من قبل ثلاثة من الطلاب المصريين من خريجي الجامعة الإسلامية الذين انضموا للتبليغ تمثل أكبر دليل علىٰ خطورة منهج التبليغ، والأثر السلبي الذي يتركه علىٰ أتباعه لاختلال المعايير الشرعية في الاستدلال والفهم، وقد قاموا بنقل كل كتابات الذين أيدوا التبليغ أسوة بغيرهم من أهل التبليغ، ولم يقوموا بعرض ومناقشة أعمال التبليغ والحكم عليها بميزان الكتاب والسنة لبيان الحق في ذلك.

قالوا: إن الأمة قد تشبعت بالكلام النظري وتحتاج إلىٰ من يعيش معها ويأخذ بيدها ويقدم لها دواء عملي كما كان النبيﷺ يعيش مع الناس ويسافر معهم ويزورهم ويقضي حاجاتهم، فأخذوا العلم والدين منه بالمعايشة فرسخ العلم والدين في قلوبهم. انتهىٰ كلامهم.

ولنا أن نسأل كتاب الرسالة هل يعتبرون كل مناهج وأساليب الدعوة القائمة اليوم كلام نظري لا فائدة منه؟

وهل نطلب من العلماء والدعاة التخلي عن تعليم الناس وتبصيرهم بأمور دينهم ويستعدوا للخروج في التبليغ **لأنه الأنفع والأجدىٰ؟**

هل في زيارة النبي ﷺ لأصحابه وقضاء حوائجهم دليل علىٰ صحة عمل التبليغ؟

وهل نعتقد أن العلماء والدعاة بعيدون عن الناس محتجبون عنهم وعن حوائجهم ومشاكلهم؟

وهل قام النبي ﷺ بتشكيل الجماعات من عشر أشخاص أو أكثر لكل جماعة لتخرج في بلاد المسلمين أو في المناطق التي أسلم اصطحابها من قرية إلىٰ قرية كما نفعل اليوم في التبليغ؟

وإذا كانت الإجابة علىٰ السؤال السابق بنعم، كم جماعة أرسلها النبي ﷺ بهذه الكيفية داخل المدينة والقرىٰ المجاورة لها لثلاث أيام وخارج المدينة لأربعين يومًا وأربعة أشهر؟

وإذا كنا نعد إرساله لمعاذ رضي الله عنه إلىٰ اليمن، وإرساله القراء من قبيل عمل التبليغ! وهي جماعتين فقط بلغة أهل التبليغ، والبقية هي غزوات وسرايا معلومة العدد والجهات عند أهل السير والمغازي.

ومعاذ رضي الله عنه كان عالمًا أرسله ليعلمهم ويقضي بينهم ويأخذ منهم الصدقات، وكذلك القراء أرسلهم لتعليم أهل ذلك البلد، ولم يشكل ﷺ أي جماعات لمدة ثلاث أيام داخل المدينة والقرىٰ المجاورة، ولا عندما فتح مكة لم يقسم الجيش الذي حضر معه إلىٰ جماعات ليخرجوا داخل مكة والقرىٰ المجاورة لها مع قيام الحاجة والمقتضىٰ حيث إنهم حديثو عهد بالإسلام.

وإذا قلنا إن خروج الجماعات بكيفية التبليغ هي دعوة وعمل النبي ﷺ كما يقول أهل التبليغ، وعلمنا أن أي مركز من مراكز التبليغ المنتشرة حول العالم يرسل أكثر من عشرة جماعات في اليوم الواحد للخروج لمدد مختلفة ثلاثة أيام، أربعين يومًا، أربعة أشهر، فهل نستطيع أن نقول أن حال الدعوة اليوم أفضل من حال الدعوة في عهد النبي ﷺ ؟

لماذا لا نقول ذلك وعدد الجماعات التي يتم إرسالها من مركز (راي وند) في باكستان في العام الواحد تعد أضعاف الجماعات التي أرسلت في كل حياة النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلىٰ رضي الله عنهم ؟

ذكروا أن جماعة التبليغ قد استعاضت عن إنكار المنكر بالقول إلىٰ تهجير فاعل المنكر بالخروج به بعيدًا عن بيئته (ص٢٢).

ونقول: من الذي أعطىٰ مشايخ التبليغ الحق في تغيير وتبديل الأحكام الشرعية والاستعاضة عنها بغيرها؟

وما حكم هذا الفعل وموقف الشرع منه؟

لأن الذي يقوم باستبدال شيء من أوامر الله والاستعاضة عنه بغيره لا يكون إلا لأحد أمرين لا ثالث لهما: وهو إما لعدم صلاحية الأمر المستعاض عنه! ولا أظن أن أحدًا منهم يعتقد ذلك.

وإما لعدم قدرة المكلفين للقيام به.

وهذا ما صرحوا به مرارًا، وذكره الشيخ **أبو بكر** الجزائري حيث قال: هل المنكرون علىٰ جماعة التبليغ تركهم **النهي عن المنكر قد نهوا** هم عن

المنكر. انتهىٰ كلامه.

إذن فإن المقصود أن جماعة التبليغ تركت النهي عن المنكر واستعاضت عنه بغيره لعدم قدرة المكلفين أو لعجزهم وتكاسلهم عن القيام بهذا الأمر.

وإذا صح هذا (عجز المكلفين وتركهم النهي عن المنكر) فهل يسوغ ذلك إلغاء أو تعطيل النهي عن المنكر والاستعاضة عنه بغيره ؟

يروىٰ عن النبي ﷺأنه قال: **«إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا»**.

ويبين ﷺدرجات تغيير المنكر وتبدأ باليد، ثم اللسان، ثم القلب وذلك أضعف الإيمان، ولم يعط أحدًا الحق في التبديل أو التغيير.

قالوا: إن جماعة التبليغ تركوا العمل بكتاب (تبليغي نصاب) ووضعوا بدلًا عنه كتاب (فضائل الأعمال) بعد أن بين لهم بعض السلفيين عيوب ذلك الكتاب (ص٣٥).

ونقول:إن ذلك غير صحيح، وفيه نوع من التمويه؛ حيث إن المشايخ قاموا فقط بتغيير عنوان الكتاب من تبليغي نصاب إلىٰ فضائل الأعمال دون أي تغيير في مضمون الكتاب! ولا أدري ماذا نسمي هذا العمل؟

قالوا: إن المعمول به هو أخذ العهد علىٰ المؤمن بالتزام طاعة الله ورسوله وليس بيعة صوفية (ص١٨).

لقد درج البعض في التبليغ تعمد استدراج بعض العلماء لانتزاع إجابات وتقريرات بخلاف الحقيقة ومنها هذه المسألة والتي وردت في بعض

إجابات الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ أبي بكر الجزائري عن التبليغ.

والواقع أنه لا يوجد أصلًا تعاهد علىٰ الطاعة أو أخذ عهد علىٰ المنتمي للجماعة بالتزام طاعة الله ورسوله، وإنما كان الخلاف والأسئلة حول البيعة الصوفية التي ثبت قيام قادة التبليغ بها، وقد اعترف الشيخ إنعام الحسن بقيامه بالبيعة الصوفية وهو أول من قال أنها بيعة للتوبة ولم يقل إنها تعاهد علىٰ الطاعة، وعندما وجد البعض خطأ القول بأخذ بيعة علىٰ التوبة حاولوا تحريفها بالقول بأخذ عهد علىٰ الطاعة.

وقد بين الشيخ أبو الحسن الندوي أن الشيخ إلياس بايع الشيخ رشيد الكنكوهي في قرية كنكوه في مديرية سهارنفور وبعد وفاة الشيخ الكنكوهي انتقل إلىٰ الشيخ السهارنفوري وبايعه.

جاء ذلك في كتابه عن الشيخ إلياس (ص١٢-١٣)، والكتاب طبع في الهند عام ١٩٩٢ الناشر مكتبة الاختر دلهي الجديدة، وقد قام مقدم الكتاب بتبرير هذه البيعة وقال إنها بيعة للتوبة تبعًا للشيخ إنعام الحسن.

والعهد الموجود في التبليغ هو بالتزام أعمال وترتيبات التبليغ، وذلك يكون في تعليم الصفات الست، وبعد أن يفرغ الجديد من عد الصفات وخاصة الصفة السادسة (الدعوة إلىٰ الله والخروج في سبيله) يقول الآتي:

والدعوة بالترتيب وليس بالتحديد وأنا مستعد للخروج لأربعة أشهر وفي السنة لأربعين يومًا وفي الشهر لثلاثة أيام، ومستعد لحضور المشورة الأسبوعية والاعتكاف الأسبوعي في أقرب مركز للدعوة والقيام بجولتين في

الأسبوع جولة مقامية في حارتنا، وجولة انتقالية في الحارات المجاورة، والمحافظة علىٰ الأذكار الصباحية والمسائية، ويقول بعد ذلك: أنا مستعد التزام هذا الترتيب، ويسأل الحاضرين: هل أنتم مستعدون؟ فيرفع الجميع أكفهم ويقولون: مستعدون.

هذا هو التعاهد والعهد الوحيد المعمول به في التبليغ ولا يوجد تعاهد علىٰ طاعة الله ورسوله إلا إذا كانوا يعتبرون هذا العهد هو من قبيل التعاهد علىٰ طاعة الله ورسوله.

ما هو السبب في شدة التعنيف والإنكار على جماعة النفي والإثبات مخالفة لأصول التبليغ التي تمنع الإنكار؟

الخلاف حول جماعة النفي والإثبات يفسر كثيرًا من التوجهات الغامضة في التبليغ فرغم أنه من أصولنا عدم الإنكار، وحقيقة نحن لا ننكر علىٰ أصحاب البدع والضلال، إلا أن الملاحظ شدة الإنكار علىٰ جماعة النفي والإثبات والتحذير منهم بل والكذب عليهم وأنهم فئة مشبوهة ومدسوسة وعملاء لجهات أجنبية لتخريب التبليغ.

وسألت أحد القدماء عن سبب ذلك، فقال لي: هذا بسبب حرص المشايخ علىٰ توحيد المنهج، وإنكارنا عليهم يحتاج إلىٰ إنكار كما يقولون نحن لم ننكر عليهم من وجهة النظر الشرعية لموافقة السنة من عدمها، وإنما ننكر لأنهم خالفوا القيادة.

وهذا هو حقيقة الخلاف، ويفسر شدة الغضب والإنكار عليهم والتحذير

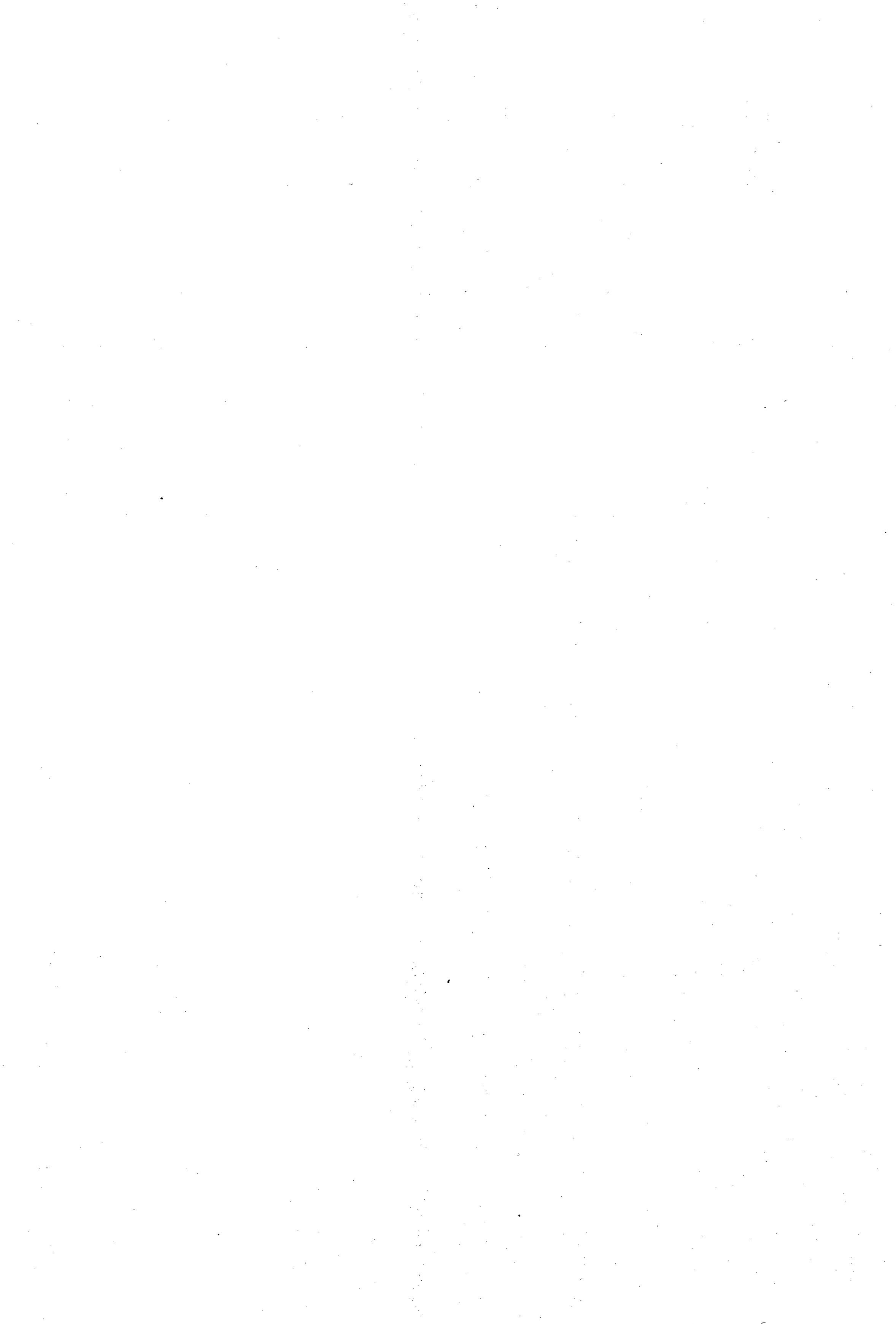
منهم، لأن هذا الترتيب تبناه المركز في باكستان، ورغم أن مركز باكستان هو الأكبر والأكثر جهدًا وحركه، ويقوم عليه أقدم المشايخ سنًّا، وهو الشيخ عبد الوهاب، وهو الذي عاصر جيل المؤسسين للتبليغ ورغم ذلك كانوا يلومونه لأنه لم ينصاع للقيادة في الهند، هذا ما سمعته من أحد المشايخ في الهند، وجماعة النفي والإثبات ليست انحرافًا عن منهج الجماعة كما يصورونها، وإنما هي درجة من درجات الانحراف في التبليغ فلماذا نلومهم وحدهم؟

علمًا أن الذي انتصر أخيرًا ليست قيادة الهند للتبليغ فقط كما يفهم الأحباب وإنما الخلافة الدينية في التبليغ هذا هو الذي انتصر أخيرًا، وقد لا ينتبه الكثير من الأحباب لذلك، أو قد يعتبرونه أمرًا هينًا وعابرًا، ولكن ذلك قد يساعد في فهم وتحديد هوية الجماعة ومستقبلها، وسوف أعلق علىٰ ذلك مستقبلًا إن سنحت الفرصة.

وفقنا الله لما يحب ويرضىٰ.

صديق عيدروس أحمد

المدينة النبوية



فهرس الموضوعات

❊ ❊ ❊